

دَعْوَةُ الْحَقِّ

المذكور
عبدنا محمد وزلف

الْإِسْتِشْرَاقُ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ
وجهة نظر

السنة الثالثة

ربيع أول ١٤٠٤ هـ

العدد (٢٤)

يناير ١٩٨٤ م

الاستشراق والمستشرقون

وجهة نظر

اعداد
لكنور احمدنا محمد روزان



تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبي الهدى ومن والاه . وبعد ،
فهذا بحث موجز عن الاستشراق والمستشرقين وهو مساهمة من كاتبه
في الدعوة الى الله والى كلمة التوحيد في هذه السلسلة العلمية
« دعوة الحق » التي تصدر عن رابطة العالم الاسلامى في مكة
المكرمة .

ان الهجوم على دين الله - دين الاسلام - ومحاربته ظاهرة
ليست بالحدیثة العهد أو الجديدة المظهر . انها ظاهرة يلاحظها كل
مؤمن بالله من خلال قراءة كتب السير ، والتاريخ وما كان من
أعداء الدين الاسلامي في الماضى وما يمكن رؤيته رأي العين مما
يجري من أحداث في الزمن الحاضر .

ان الماضى يظهر لنا كيف أن الرسول الكريم ﷺ واجه الكثير من
العنت والعناد في سبيل الدعوة الى الله ، وكيف أن هذا التصدي
للالسلام وأتباعه استمر الى يومنا هذا بما تمثله هجمات الأعداء
بالسلاح تارة وبالغزو الفكري تارة أخرى وهم بذلك يقصدون
صرف الناس عن الله ورباطه الوثيق ، فكثرت هذه الدعاوى في
طعن الاسلام بالقول بأنه دين باطل ورسالة النبي ﷺ

زائفة وباطلة . ويأتي في مقدمة هذه الدعاوي ما جاء في كتب المستشرقين التي عمدت الى الطعن في حقيقة الدين الاسلامي وصدق نبوة محمد ﷺ والغمز في كتاب الله العزيز والسنة المطهرة وبقية أصول الدين ، وأن كل ذلك من وضعه ﷺ وتلفيق أصحابه وأتباعه رضوان الله عليهم أجمعين ، وهكذا يقولون زورا من القول وتصف ألسنتهم الكذب .

وأعلم أن كثيراً من الذين كتبوا عن الاستشراق والمستشرقين ، وعن التبشير والمبشرين ، قد أجادوا وأفادوا ، اذ فضحوا خططهم وكشفوا زيفهم وزللهم وأبانوا عن مقاصدهم ونواياهم . ولست أزعم أن هذا البحث هو دراسة متخصصة عن الاستشراق والمستشرقين ، ولكن بعض المواضيع والمباحث تدفع المتخصص وغير المتخصص للبحث فيها خصوصا اذا كانت البواعث المحركة والدافعة لها تخص الانسان على الدراسة لأهمية الموضوع علميا أو فكريا . ودراسة موضوع كهذا في نظري هو أمر واجب وجهاد في سبيل دعوة الله ودعوة الحق والتوحيد فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾^(١) .

فجهاد المال ، وجهاد النفس ، وجهاد الكلمة كلها أمور لا تحتاج من الانسان المسلم أن يكون متخصصا ، ولكن تحتاج من

(١) التوبة الآية ٤١

المسلم أن يكون لديه الشعور الايماني العميق لأن قوة الله و ارادة الحق سبحانه وتعالى فوق كل شئ فالعون عون الله والنصر نصره جلت قدرته وفي هذا يقول العليم القدير :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) .

والحقيقة أن الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو رغبتي في المشاركة ببعض ما مر بي من مواقف وأحداث فترة دراستي في بلاد الغرب وبالذات مع المستشرقين ، فلقد كنت أدرس الأدب المقارن (العربي والانجليزي) بقسم دراسات الشرق الأوسط وقسم الأدب الانجليزي بجامعة أدنبرا بالمملكة المتحدة . وكان أحد مشرفي ممن يجيد اللغة العربية وله معرفة بآدابها وهو من المستشرقين . والمعروف أن قسم دراسات الشرق الأوسط هناك مشهور عالميا وخصوصا بما عرف عن رئيسه المستشرق القسيس البروفسور وات W. M. WATT وخلال سني دراستي بالجامعة كنت أحضر الندوات العلمية والمحاضرات التي تعقد في كلا القسمين كجزء من متطلبات الدراسة . وكان هناك فارق كبير بين الجو الذي يسود قسم الأدب الانجليزي والجو الذي يسود قسم دراسات الشرق الأوسط . ففي قسم دراسات الشرق الأوسط كان الجو مليئا بالدس والحقد والتعريض بالاسلام وحضارته وثقافته ولغته . كان أعضاء هيئة

(١) الصف ، الآيات ، ١٠ - ١١

التدريس يستعدون بعض الطلاب من أبناء المسلمين المتواطين مع
المستشرقين ضد هؤلاء المتمسكين بدين الله الاسلام . أذكر
مرة أن البرفسور وات قال ان المسلمين والعرب أمة حرب لا أمة
سلام فهز أحد هؤلاء الضعفاء رأسه مستحسنا قول هذا المستشرق
فتأدى وات في قوله وقال ان القتال كخصيصة في العرب تم انماؤها
وتنظيمها عندما نادى محمد برسالته لهذا تمكن العرب والمسلمون من
السطو على البلاد التي غزوها . فتصدى للاجابة على ذلك أحد
الاخوة من السودان وقال للبرفسور وماذا تقول في قول الله سبحانه
وتعالى ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾^(١) فهبت الذي كفر
ولزم الصمت .

منذ ذلك الحين بدأت أعرف الاستشراق بمعاشته لا من خلال
القراءة فقط ، وأيقنت أن ما كتب ضد هؤلاء المستشرقين انما هو
حق ، ولا أحد يلومنا اذا عزمنا على مقاومة هؤلاء المستشرقين
وأخرجناهم من مكانهم وأزحنا الأغشية التي يلفونها على وجوههم
ومنازلتهم منازل الند للند في ميدان الجدل العلمي والمناظرة
الموضوعية . لا حرج علينا ان فعلنا ذلك بل الحرج في تركهم . ان
هؤلاء المستشرقين يريدون القضاء على الاسلام وأتباعه فكيف
نتحرج أن نأتي بنيانهم من القواعد . علينا نحن المسلمين أن نقابلهم
في ميادين المناظرة والجدل لاظهار سوء نواياهم واثبات ما هم فيه
من الباطل . والنصر للمسلمين لا محالة والعاقبة للمتقين فالله سبحانه

(١) البقرة ، الآية ٢١٦

وتعالى يقول : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق
ولكم الويل مما تصفون﴾^(١)

ولقد سعت خلال فترة دراستي في المملكة المتحدة أن تعقد ندوة أو مؤتمر بين فريق من المسلمين وآخر من المستشرقين للمناظرة وأن يدلي كل بدلوه ، وقد تمت موافقة معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وأن تقوم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة في التنسيق لاعداد هذه الندوة وقد مثل الكلية كل من الأخ الدكتور محمد بن سعد الرشيد عميد الكلية سابقا والأخ الدكتور محمد عبد الرحمن الهدلق المدرس بالجامعة سابقا وهو يعمل حاليا بجامعة الملك سعود . وقد اتخذت الخطوات اللازمة لذلك على أن تكون جامعة ادنبرا هي المكان لهذه الندوة وأن تقوم بدعوة بعض المستشرقين ، ولكن بعض الظروف حالت دون ذلك فأجلت الندوة والفكرة يمكن الاستفادة منها في أي حين . وليس هذا فقط واجب المسلمين بل نحن في حاجة مستمرة ودائمة للكتابة في مثل هذه المواضيع البالغة الأهمية بما يخص المسلمين ودينهم وتراثهم لنكون في تذكّر دائم لحقيقة أعدائنا من مستعمرين ومستشرقين وغيرهم ، ذلك لأن الاستشراق ومعظم كتابات المستشرقين إنما هي جملة من الأساطير والأكاذيب الملفقة عن الاسلام وحضارته وعن القرآن ولغته وعن النبي محمد ﷺ ونبوته ، لهذا وجب علينا نحن

(١) الأنبياء ، الآية ١٨

المسلمين العمل على مقابلة هذه الأكاذيب والأقاويل الباطلة بالصدق وإظهار الحقيقة ودحض المفتريات وتنفيذ الآراء الباطلة والفسادة والتي قصد بها دك حصون الاسلام والهجوم عليه .

وبالرغم من ذلك فاننا يجب أن نعمل بقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِيَّاهُ اقْرَبُوا لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١)

فنحاول أن نقرب من العدل الذي أمرنا الله به فنثبت أن لبعض المستشرقين جهودا قيمة ما أمكن ذلك .

وأن دراسة الاستشراق ومعرفته أمر يقصد به توضيح الحقائق التي طمسها هؤلاء الشرذمة القليلون ، وإظهار حقيقة هؤلاء الناس وما يستترون به من ادعاء الموضوعية والبحث العلمي وهم براء من ذلك . لهذا كله عزمنا على أن أنقل للقارئ ما يسر الله لي من حقائق وأفكار عن الاستشراق والمستشرقين مشاركة منى بجهودهم من يدعو الى الله ويجاهد في سبيله فالمولى العلي القدير يقول :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)

فعسى الله أن ينفع بهذا العمل في الحياة الدنيا وبعد الممات فعمل

(١) المائدة ، الآية ٨

(٢) فصلت ، الآية ٣٣

ابن آدم ينقطع بعد موته الا من صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به .

ويقع هذا البحث في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة :

الفصل الأول :

يتناول تعريف الاستشراق وتاريخه كمصطلح علمي له أهدافه وجذوره التاريخية والتعريف بزمان ظهور الاستشراق وأسباب ذلك .

الفصل الثاني :

يتناول الحديث عن أهداف الاستشراق وأغراضه التي من أجلها قامت الحركة الاستشراقية في العالم .

الفصل الثالث :

يعتبر امتدادا للفصل الثاني اذ نركز فيه على غاية خطيرة للاستشراق تتعلق بمدى تأثيره على بعض أبناء المسلمين واحتوائه لهم ليكونوا في خدمته .

الفصل الرابع :

يتناول بصورة موجزة الحديث عن طبقات المستشرقين وأنواعهم .

الفصل الخامس :

يتناول منهج المستشرقين ومدى تعصبهم ضد الاسلام وأن الموضوعية وطرق المنهج العلمي في البحث منهم براء .

الفصل السادس :

يتناول الحديث عن نقطة التلاقي الزمنية بين ماضى الاستشراق

وحاضره فقد أظهرنا فيه اتجاهات الاستشراق في الوقت الحاضر.

الفصل السابع :

يتناول بعض النماذج الأدبية من رواية ، ومسرحية ، وقصائد شعرية تحدثت عن الاسلام في الآداب الغربية . وقد قصدنا أن نبين أنه حتى كتابات الأدباء الغربيين لم تخل كذلك من الفكر الاستشراقي .

وقد يلاحظ أننا نذكر بعض الأفكار والآراء في أكثر من موضع والقصد من ذلك هو التذكير بالأهداف الأساسية لهذا البحث وإظهار المطاعن التي ينفثها أعداء الاسلام من المستشرقين ، وذلك لأن هذه هي الأسس التي قام عليها هذا العمل .

وأخيراً لا يفوتني أن أدعو الله مخلصاً أن يجزي كل من أسهم وساعد في إخراج هذا العمل الى حيز الوجود خيراً في الحياة الدنيا والآخرة ، فليس لهم مني جميعاً الا الدعاء بالثواب والخير من العلي القدير ، وأخص بالذكر هنا الملاحظات القيمة ، والاشارات المفيدة ، والتشجيع الدائم من كل من الاستاذ محمد قطب ، والأستاذ أحمد محمد جمال ، والأستاذ حسين الجيار والدكتور كامل خليل زغموت والدكتور محمد عبد الجواد محمد ، والدكتور محمد ابن سعد الرشيد ، والله نسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما يعلمنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة

د!عدنان محمد وزان

الفصل الأول

« الاستشراق : تعريفه وتاريخه »

ما هو الاستشراق ؟ ومن هم المستشرقون ؟

الاستشراق أو الدراسات الاستشرافية مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ، ودراسة حضارة الاسلام والعرب بصفة خاصة . ولقد كان الاستشراق وميدان الدراسات الاستشرافية في بداية ظهوره مقتصرًا على دراسة الاسلام وحضارته واللغة العربية وآدابها ، ثم بعد ذلك اتسعت مجالات الاستشراق وأصبحت تشمل دراسة الشرق كله : لغاته ، أديانه تقاليده وآدابه ، ولكن أهم ما أعتنى به المستشرقون في دراساتهم هو الدين الاسلامي واللغة العربية لأن ذلك مثار اهتمامات المستشرقين الأول والكبير والذي يمثل النزاع الفكري والسياسى والعقائدي الذي يسود عصرنا الحالي^(١) .

والدراسات الاستشرافية التى تعنى بدراسة الحضارة الاسلامية واللغة العربية انما هي وحي من تقاليد مورثة لدى الفرنجة والغربيين وهي امتداد للحروب الصليبية كما سنعرض الى ذلك في حديثنا عن

(١) محمد علوي المالكى (موقف المسلم من الدراسات الاستشرافية) ص ٦ - ٧

تاريخ ظهور الاستشراق . والاستشراق كما يراه أصحابه من المستشرقين في الغرب يعد في نظرهم مادة علمية معترف بها عالميا وموضوعا معترفا به أكاديميا ويوشك أن يكون ممثلا في كل جامعة من الجامعات الغربية مع وجود أعداد كبيرة من وظائف المحاضرين والمعيدين والباحثين في مجالات التخصص الاستشراقية تدفع لهم الأموال بقصد تأمين مستقبلهم والمساهمة في استمرارية هذا المجال الأكاديمي . وجميع العاملين في هذا الحقل يشعرون بكامل الولاء والتقدير للحكومات والمجالس النيابية والأوساط الكنسية التي تضع تحت تصرفهم الامكانيات اللازمة لأجراء البحوث والاطلاع والدس ، وللحفاظ على حيوية هذا العلم ونشاط العاملين به ، لما لهذا الفن من فوائد عظيمة سياسيا وفكريا تعود على الدول الغربية ، كما أن الحكومات الغربية ممثلة في وزارات التربية والتعليم لا تدخر وسعا في توجيه أعدادا لا بأس بها من الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية للالتحاق بأقسام الدراسات الاستشراقية بالجامعات^(١) .

ان مثل هذا الاهتمام البالغ بالدراسات الاستشراقية من قبل الحكومات والمجالس النيابية والأوساط الكنسية يعتبر مؤشرا هاما لما يهدف اليه الاستشراق وما يمثله من خطورة . وهذه الخطورة تتمثل في كتابات المستشرقين التي تهدف الى تشويه حقيقة الاسلام وحضارته كما نرى ذلك على سبيل المثال في الموسوعة المشهورة التي تصدرها منظمة اليونسكو

(١) رودى بارت (الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية) ص ١٢ - ١٣

وهي تتعلق بالجنس البشري وتطوره الثقافي والعلمي والمترجمة الى عدة لغات وتقرأ في جميع أنحاء العالم^(١)

وهذه الموسوعة تحمل في طياتها صورة سيئة وقذرة عن الاسلام والمسلمين والعرب . ان مثل هذا الانتاج يشكل خطرا كبيرا في سبيل الدعوة الى الله والى دين الاسلام ، تجعل مهمة الداعية أمرا ليس بالسهل في تغير تلك الصورة المشوهة والسيئة التي رسمها المستشرقون عن الاسلام بقصد الحيلولة دون قبول الاسلام واعتناقه من قبل غير المسلمين ناهيك عما تقوم به الحملات التبشيرية ذات الصلة القوية بالاستعمار والاستشراق في تهويد أو تنصير المسلمين كما هو حاصل في أفريقيا وشرق آسيا .

والمستشرق هو في العموم من أبناء اليهود أو النصارى ومن سار على نهجهم واهتدى بضلالهم من غير اليهود والنصارى من أبناء المسلمين المستغربين الذين خرجوا على دين الاسلام لأنهم يتفقون مع الاستشراق في آرائه وأفكاره . ولقد كان غالبية المستشرقين في بداية ظهور الدراسات الاستشراقية من الرهبان ، والقسس ، والمبشرين . وكان بعضهم من الذين اهتموا بدراسة اللاهوت وأمثال هؤلاء كان يهتمهم ارساء نهضة الكنيسة وتعاليمها خصوصا في العصور الوسطى .^(٢) أي الرهبان في العصور اللاحقة الذين اهتموا

(١) عبد الجليل شلبي « الاسلام والمستشرقون » ص ٣ .

(٢) « موقف المسلم من الدراسات الاستشراقية » ص ١٣

بالتبشير والمساهمة في تذليل الصعاب أمام الاستعمار وتسهيل مهمته في القضاء على الاسلام بطرق تجسسية أو مؤامرات تخريبية .

ومهما اختلفت نحل المستشرقين واتجاهاتهم فهم يهدفون جميعا الى هدف واحد ، وهو الاسلام والاجهاز عليه . والمستشرقون جميعا متفقون في عدائهم للاسلام مع تجاهلهم لحقيقته وعدم اتقانهم للغة العربية ومن يعرف اللغة العربية منهم قلة . والمستشرق جبل على الطعن في الاسلام بحسب تفكيره العدائي الموروث منذ عصر الحروب الصليبية . والساكت منهم على المفتريات الموجهة الى الاسلام والطعن فيه أشد سوءاً من غيره لأن في سكوته اقرار لصحة ما يزعمه الآخرون ، اذ الساكت على الحق شيطان أخرس .

والمعروف أن الحضارة الغربية انما قامت على أنقاض الحضارة الرومانية الوثنية العقيدة ، المادية الاعتقاد ، وانما جعلت المسيحية ثوبا للنستر على الحقيقة^(١) .

لهذا فان المستشرق انما هو بمثابة جزء مكمل للحضارة المادية في أوروبا التي تقوم على البيوقراطية الاستعمارية^(٢) والاستشراق قد يبدو لمعظم الناس وكأنه اتجاه أكاديمي يعتمد الى دراسة الشرق وحضارته عموما ، والى دراسة الحضارة الاسلامية والاسلام خصوصا كما تقدم . ولكن ليس الأمر كذلك فحسب ، بل انه أكثر من ذلك كما

(١) محمد أسد ، « الاسلام على مفترق الطرق » ، ص ٤١

(٢) أنظر كتاب : Edward Said, *Orientalism*, P. 2.

يراه بعض النقاد والمطلعين على حقيقة الاستشراق فهو جزء من التبشير وحركته والاستعمار ووسطوته . انه جزء من الحروب الصليبية الحديثة والتي أخذت صيغة جديدة بأن صارت حرباً فكرية بدلاً من الحرب العسكرية .

ان المستشرقين نصبوا أنفسهم ولاية مسئولين عن الاسلام والبحث في حقيقته وفي الحديث عن الشرق وحضارته بما يمليه عليهم فكرهم وبما توحى اليه مشاعرهم صدقاً أو كذباً ، وهذا ما يقرره نظام الوصايا أو الانتداب المستمد من النظم العسكرية والاستعمارية المعتمدة على اغتصاب الحق وانكاره .^(١) من هذا يمكننا القول بأن الاستشراق يقدم يداً كبرى مساعدة للاستعمار والعمل على مبدأ البقاء للأقوى حقاً أو باطلاً وهذا من أهم استراتيجيات الاستشراق الذي يرتبط بمصالح جغرافية ، اقتصادية ، حضارية . سياسية ، تهدف في المقام الأول الى القضاء على الاسلام والمسلمين . والابقاء على الحياة المادية المجردة من الروح كما تمثلها حضارة الغرب وما هو ملحوظ في تلك الحضارة التي اعتمدت على قيام النظريات المادية والاحادية عند دارون ، وفرويد وغيرهما :

« ان الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهابية في البحث وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد . وجمهرة المستشرقين مستأجرون لاهانة الاسلام وتشويه محاسنه

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٦

والافتراء عليه» (١) .

بذلك يمكننا أن نخلص الى أن معظم المهتمين بالدراسات الاستشراقية من المستشرقين ومن شايعهم انما يعتنون بتحريف الاسلام وتشويه جماله فالمستشرقون اما من رجال الدين (يهود ونصارى) الذين يحرفون الكلم عن مواضعه أو من رجال الاستعمار والملحدين الذين يهتمون بزعزعة الاستقرار والسلام والطمأنينة واثارة القلاقل لتكون السيطرة والهيمنة لهم فيسومون الناس سوء العذاب ، ويمكن حصر صفات المستشرقين فيما أجمله الدكتور مصطفى السباعي ونلخصه في الآتي :

(١) سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالاسلام في أهدافه ومقاصده .

(٢) سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظماهم .

(٣) تصوير المجتمع الاسلامي في مختلف العصور وخصوصا في العصر الأول كمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه .

(٤) تصوير الحضارة الاسلامية تصويرا دون الواقع وتهوين شأنها واحتقار آثارها ومساهماتها .

(٥) الجهل بطبيعة المجتمع الاسلامي على حقيقته ، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم .

(٦) اخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم

(١) محمد الغزالي « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » ، ص ٨

والتحكم فيما يفرضونه ويقبلونه من النصوص ، وتفسير النصوص واخضاعهم للتحليلات المادية ، العلانية .

(٧) تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان ، تحريفا مقصودا ، لخلق جو الشك واللبلة ، كما أنهم يسيئون فهم العبارات لجهلهم بذلك وهذا مجال آخر للتحريف .

(٨) تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ التشريع الاسلامي والفقه ^(١) .

كل هذا عمل المستشرقين وهم منساقون مع الهوى والانحراف عن الحق ، فكيف يمكن والأمر كذلك أن تتأني الموضوعية والمنهج العلمي المزعوم اذا كنا نحكم ونقول على فن من الفنون بما هو موجود في كتب ومراجع فن آخر ؟ كيف يكون القول صحيحا اذا نقلنا من كتب الطب كلاما نريد به اطلاع القارئ عن حقيقة لغوية تتعلق بالنحو ؟ فشتان ما بين الطب والنحو . ولكن هذا منطق من جعل الله صدره ضيقا حرجا فالله عز وجل يقول :

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ ^(٢)

(١) مصطفى السباعي (السنة ومكانتها من التشريع الاسلامي) ص ١٨٨ - ١٨٩

(٢) الأنعام . الآية ١٢٥

وقد كتب أحد مفكري الاسلام وصفا عن المستشرق اليهودي جولد تسيهر ومنهجه وآراءه وان هذا الوصف لحق وانه لينطبق على الغالبية العظمى من المستشرقين فهم أعداء الاسلام جميعا :

« الحق أن هذا المستشرق (جولد تسيهر) من أقل الناس حياء في مجال العلم ، فهو كما رأيت يخترع الأكذوبة ، ويتخيلها ويركب لها في نفسه هيكلًا ، ثم يلتقط من هنا وهناك ما يوهم أنه يؤيده فيما ادعى ولا يبالي أن يكذب في النصوص أو يغالط في الفهم أو يستدل بما ليس بدليل ويعرض عما يكون دليلا قاطعا ، ولكن ضد فكرته ، وليس أدل على تحيزه وبعده عن الانصاف ، وتعصبه لآرائه من أن يرفض نصوصا قاطعة أجمع على صحتها أهل العلم ، بنصوص ملفقة من كتاب كالحیوان للدميري ، أو كتاب ألف ليلة وليلة ، أو الأغاني أو العقد الفريد أو غيرهما من كتب الأدب التي تجمع ما هب ودب ، وما صح وما لم يصح ، فهل هذا شأن قوم يزعمون التجرد للعلم ؟ وهل هؤلاء هم الذين اتخذهم أمثال أحمد أمين أئمة يهتدون بهديهم في تكذيب الصحابة وتجريح التابعين والتهجم على علمائنا في مجال النقد والتحجيص ؟ »^(١)

والاستشراق بأهدافه المتعددة وأشكاله المتغيرة من زمن الى زمن ومن حقبة الى حقبة لا يتغير في هدفه العام وهو القضاء على الاسلام والمسلمين فالاستشراق الذي جاء قبل لين ، ورينان ، واسحاق ساسي ، وغيرهم هو نفس الاستشراق

(١) « السنة ومكانتها من التشريع الاسلامي » ص ٢٣٥

الذي جاء بعدهم حتى في عصرنا هذا . والاتجاهات العامة للدراسات الاستشرقية ليست الا نسخا متكررة لما سبق وان تغيرت الأساليب ، لأن التغير انما هو لايجاد التناسب مع أسلوب العصر^(١) .

والكتابات عن الاستشراق والمستشرقين تنوعت من حيث الكم والكيف ، فبعضها ناقش نظم الدراسات الاستشرقية وأهدافها في الجامعات الغربية وبعضها اهتم بتطور الاستشراق وأهدافه واتجاهه ، وبعضها عالج القضايا المتعلقة بمكونات هذه الدراسات في ضوء الخلقية الحضارية ، والسياسية والتاريخية والاقتصادية للشرق والغرب خصوصا في الفترة ما بين ١٨٧٠ - ١٨٨٠ حيث إن القرن التاسع عشر يمثل نقطة التحول لدى الغرب وما تبعه من استعمار للبلاد الاسلامية وبعض الدول الشرقية عندما بدأت الحملة الفرنسية على مصر^(٢) .

لهذا فان الاستشراق ليس فقط نظاما أكاديميا له جذوره التاريخية والتقليدية التي تهدف الى التأثير في الشعوب الاسلامية وردها عن الاسلام أو التأثير على الشعوب غير الاسلامية في قبول الاسلام وحضارته وتعاليمه وشعائره - نعم ان الاستشراق ليس نظاما أكاديميا فحسب - بل هو نظام سياسى ومصطلح تاريخي يعنى بالشرق والاسلام والمعلومات المتوفرة عن الاسلام في الغرب

(١) أنظر Orientalism.P. 197.

(٢) نفسه ص ٢٠١ - ٢٠٢

للتمكن من سياسة المسلمين والتحكم فيهم :

« لا ريب أن أصدق مفهوم للاستشراق هو أنه العلم في خدمة السياسة والاستعمار وهدفه اذابة الشخصية الاسلامية وتغيير ما بنفس المسلمين من ايمان بالاسلام ومثله والتمسك بنظمه ولغته وحضارته والتنكر لهذا كله وقطع الصلة بينه وبين دينه وربّه ونبيه »^(١)

والملاحظ أن اصطلاح الاستشراق أخذ يدخل كثيرا من كتب العلم وفنونه في الغرب ، فتجد الاستشراق ، والحديث عن الشرق والاسلام يدخل في كتب الرحلات ، وكتب التجارة ، وكتب الصناعة ، وكتب الأدب ، وكتب الدواوين الرسمية والحكومية ، وكتب التاريخ الطبيعي . والسبب في هذا أن الاستشراق أصبح فنا له أصوله وأهدافه بين الغربيين ، وبذلك أصبح مصطلحا لا يمكن الاستغناء عنه في محاربة الاسلام والمسلمين . هذا هو الاستشراق في أبسط صورة ممكنة وسيتضح للقارئ تفسيره من خلال العرض لتاريخ الاستشراق وأهدافه .. الخ مما سيأتي .

ان تاريخ الدراسات الاستشراقية وأسباب ظهور الاستشراق من المواضيع التي هي محل الكثير من الجدل والخلاف بين المؤرخين والكتاب . والحقيقة المسلم بها لدينا نحن المسلمين والتي لا مراء فيها أن أيدي اليهود والنصارى كانت تعمل عابثة منذ العصور الأولى لظهور الدعوة الاسلامية والتاريخ يذكر ما كان من يهود المدينة

(١) أنور الجندي . « شب » . تغريب في غزو الفكر الاسلامي » ، ص ٩٥

المنورة ومواقفهم ضد دعوة الاسلام ونداء الحق ، وضد رسول الدعوة ﷺ . وعليه فان الاستشراق في بدايته انما قام على أيدي القسس والرهبان والمبشرين ثم اتصل بالمستعمرين لتكون هناك قوة الفكر ويمثلها التبشير ، وقوة السلاح ويمثلها الاستعمار . ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن العداوة التي أوجدها أعداء الاسلام وأعداء الدعوة الاسلامية على مر العصور والأزمان هي البداية الأولى للاستشراق لأنها أوجدت الاهتمام بدراسة المسلمين وأحوالهم .

ان تحديد تاريخ الاستشراق وزمن ظهوره من الأمور الصعبة التي تواجه كل باحث في هذا الشأن . فبعضهم مثلاً يرى أن ظهور الدراسات الاستشرافية يعود الى تاريخ دخول المسلمين الى أسبانيا وجنوب إيطاليا وصقلية في العصور الوسطى . وهذا الأمر لفت أنظار أهل تلك البلاد الى أحوال المسلمين وإلى الحركة الاسلامية فعكفوا على دراسة المسلمين وتاريخ الدعوة الاسلامية وأهدافها ، لذلك من هنا يمكن القول بأن الدراسات الاستشرافية بدأت منذ ذلك الزمن .^(١) بينما يرى بعض آخر أن القرن الثالث عشر الميلادي هو الزمن المشهور الذي بدأت فيه حركة المستشرقين والدراسات الاستشرافية .^(٢) وقد ذكر أحد الكتاب آراء مختلفة عن نشأة الاستشراق ، واستعرض أقوالاً متعددة منها أن الاستشراق ظهر في القرن العاشر الميلادي^(٣) ويقول بعضهم أنها أي الدراسات

(١) « الاسلام والمستشرقون » ص ٢٧ - ٢٨

(٢) « موقف المسلم من الدراسات الاستشرافية » ، ص ٦

(٣) محمد عبد الفتاح عليان ، « أضواء على الاستشراق » ، ص ٥

الاستشرافية - بدأت في أعقاب الحروب الصليبية . وهناك من يعتبر أن الحملة الفرنسية على مصر وغيرها من بلاد الشرق في سنة (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) هي البداية الحقيقية للاستشراف^(١) وهناك من يقول إن الاستشراف بدأ بصفة جدية بعد فترة عهد الإصلاح الديني في أوروبا أي في نهاية القرن السادس عشر الميلادي وبداية القرن السابع عشر الميلادي . ذلك أن النواة الأولى للدراسات الاستشرافية كانت قد بدأت في عصور وقرون سابقة لم تسمح لها الظروف بالظهور والعمل بصورة موجهة ومنظمة إلا في عهد الإصلاح الديني .^(٢) في حين يرى أحد المستشرقين وهو يوهان فوك أن الاستشراف انما ارتبط بالحروب الصليبية ، وأن المستشرقين الأوائل كانوا يرون في عملهم أنه نوع من الجهاد والكفاح ضد الاسلام .^(٣)

ويقرر روي بارت في قول له عن تاريخ الاستشراف ما يلي :
« اذا نظر المرء الى الورا الى تاريخ تطور الاستشراف ولم يتردد في التسيط رغبة في زيادة الوضوح ، فانه يستطيع أن يقول إن بداية الدراسات العربية الاسلامية ترجع الى القرن الثاني عشر . ففي عام (٥٢٨هـ - ١١٤٣م) تمت ترجمة معاني القرآن لأول مرة الى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب بيتروس فينيرا بيليس رئيس دير كلوني ، وكان ذلك على أرض أسبانية .

(١) . المصدر السابق

(٢) نذير حمدان . « الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين » . ص ١٢

(٣) « الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية » . ص ٤

وفي القرن الثالث عشر أيضا نشأ أول قاموس لابيني عربي . وفي القرن الثالث عشر والقرن والرابع عشر بذل رايوندوس لالوس - المولود في جزيرة ميورقة - جهودا كبيرة لإنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية ، وكان قد تعلم اللغة العربية على يد رجل عربي . وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير ، وهو اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الاسلام واجتذابهم الى الدين المسيحي . ويمكن الاطلاع على هذا الموضوع بتفصيلاته في الكتاب الكبير الذي وضعه نورمن دانييل باسم « الاسلام والغرب » (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) Norman Daniel, *Islam and the West* (١)

مما تقدم يمكننا تحديد الاستشراق وزمن ظهوره . ذلك أنه كما أشرنا أن الاستشراق منشأه عداوة غير المسلمين لدين الاسلام وهذا ظاهر منذ الأزمنة الأولى للدعوة الاسلامية . وحيث إن شدة هذه العداوة لم تظهر الا بعد الحروب الصليبية والتي دامت زهاء قرنين من الزمان ١٠٩٧هـ - ١٢٩٥م فان هذا التاريخ يمثل نقطة التحول في الصراع الفكري والعقائدي والسياسي بين الغرب المسيحي المدعم بالتخريب اليهودي والصهيوني وبين الشرق الاسلامي من ناحية أخرى ولو أمعنا النظر في بعض آراء النقاد السالفة الذكر والتي تقول ان القرن الثالث عشر هو بداية ظهور الدراسات الاستشراقية لرأينا التقارب بين بداية الحركة الاستشراقية وبداية الحروب الصليبية . وما يؤيد ذلك هو بداية هذه الدراسات بصورة منتظمة

(١) المصدر السابق . ص ٩

تمخضت عن ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللاتينية في عام ٥٣٨هـ - ١١٤٣م في هذا تأكيد لمن ذهب الى أن القرن الثالث عشر أو قبله بقليل أي في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي كانت البداية الموجهة والمنظمة لظهور الدراسات الاستشرافية . وجملة ما ورد من آراء عن نشأة الاستشراق تعطي القاري فكرة موجزة عن تاريخ الاستشراق والمحاولات البدائية والبذور الأولى التي ساعدت على ظهور الاستشراق . والحروب الصليبية كما يرى بعض المستشرقين أنفسهم أنها من الأسباب الأولى التي أدت الى توجيه الاهتمام نحو الدراسات الاستشرافية ، فلقد كانت دعوة الكنيسة الى رجال الفكر من النصارى للاهتمام بالشرق الاسلامي ودراسته ومعرفة أحوال المسلمين ، وذلك للعمل على حربهم بكل الوسائل هي الأساس الأول الذي قامت عليه الحرب العقائدية ، والفكرية والسياسية التي نعاني منها الكثير في عصرنا الحاضر وما أعقب ذلك من استعمار وغزو واحتلال عسكري وفكري^(١)

ويؤكد ادوارد سعيد هذه الحقيقة ، حيث يرى أن الدراسات الاستشرافية في صورتها الحالية ، الصورة الموجهة والمنظمة والمتمثلة في كراسي الدراسات الاستشرافية في الجامعات ، والمؤتمرات التي تعقد في هذا الشأن والكتب ، والدوريات ، والمجلات التي تعنى بدراسة الاسلام لم تبدأ الا عندما بدأت الكنيسة تهتم بتعليم اللغات السامية ومنها لغة القرآن الكريم اللغة العربية وذلك في عام

(١) عمر فروخ وزميله ، « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » ، ص ٣٦

٧١٢هـ - ١٣١٢م خصوصا عندما قررت تدريس مواد خاصة
بتعليم اللغة العربية في الجامعات الكبرى أمثال جامعتي أكسفورد
وكمبردج في بريطانيا. (١)

(١) أنظر *Orientalism*, P. 50

الفصل الثاني

« الاستشراق : أهدافه وأغراضه »

انتهينا فيما سبق من الحديث عن تعريف الاستشراق وتاريخ ظهور الدراسات الاستشراقية . وهنا ننتقل للحديث عن أهداف المستشرقين وأغراضهم حيث نلقي مزيدا من الضوء على وصف المستشرقين وأحوالهم . ذلك أن معرفة أهداف الاستشراق وأغراض المستشرقين من أهم الأمور والواجبات التي ينبغي أن يتنبه اليها كل مسلم .

ان الحروب الصليبية ودوافعها الدينية التبشيرية كانت وراء الدوافع الاستعمارية والسياسية التي دفعت ملوك أوروبا الى غزو الشرق واستعماره خصوصا بلاد الشام والأراضي المقدسة التي كانت تتمتع بطمأنينة روحية سرها الدين الاسلامي وحضارة مدنية عظيمة لا عهد للنصارى واليهود بها أو بمثلها في بلادهم الفرنجية . اضافة الى الجو المناخي الذي يسود هذه المنطقة . كل هذه الأمور خلقت لدى الصليبيين التصميم على الاستيلاء على هذه البلاد مهما طال الزمن وكثرت التكاليف . وكانت هناك كرات وفترات طالما انتصر فيها المسلمون ، وبعد أن أخفق الغرب عسكريا في الحروب الصليبية وحتى في الاستعمار الذي جاء في القرن التاسع عشر وهو امتداد للحروب الصليبية ، لجأ الغرب كله مجتمعا الى حرب الفكر للنبيل من

الاسلام والمسلمين وليسهل المهمة الاستعمارية فيما بعد اذا ما ضعف اعتقاد المسلمين بصلاح الدين الاسلامي .

لقد عجز اليهود والنصارى وكل من شايعهم متفرقين ومجتمعين في محاربة دين الله ، دين الاسلام ، لقد عجزوا عن قهر المسلمين الحروب بواسطة وهذا معروف في كتب التاريخ وخصوصا تاريخ الحروب الصليبية اذ أن جميع الحملات الصليبية السبع التي تلت الحملة الأولى باءت بالفشل والخسران المبين . ان اليهود والنصارى وأتباعهم بعد أن طحتهم الحروب وجعلت مجتمعاتهم ممزقة تعيش في ظلمة حالكه لا روح دينية ولا مظاهر حضارية ، في حالة من البؤس دعت الى الاصلاح وتطوير بلادهم والنهوض بها علميا واقتصاديا ، وبذلك انتهى الأمر بعدم التفكير في الحروب والغزو ومحاربة المسلمين ولكن قلوب الأعداء رغم كفهم عن الحروب ظلت مليئة بالحققد والثأر والحسد التي ظهرت كلها دفعة واحدة في الحروب الاستعمارية التي بدأت في أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر ، اذ أن هؤلاء الصليبيين عندما صلحت بلادهم وقويت شوكتهم عاودوا الكرة لما علموا به من حال المسلمين اذ عرفوا أن عزم الدولة العثمانية قد خار وانهار ، فجاءوا بالقوة وقسموا بلاد المسلمين الى أجزاء واستعمروا الأرض وسلبوا المسلمين حقوقهم وقتلوا الآلاف من المسلمين وشردوهم ، وعملوا على الفتنة واشعال روحها بما نشره من دسائس ووشايات

(١) « السنة ومكانتها من التشريع الاسلامي » . ص ١٨٧ - ١٨٨

بين المسلمين .

ان الغرب عندما لجأ الى الاستعمار وقهر الشعوب الاسلامية أخذاً بالتأثر وما لحق بهم أيام الحروب الصليبية لم يكن بالقوة وكثرة السلاح ولكن كذلك الفكر والاكتشافات المتوالية والدراسات المكثفة التي عكف المستشرقون عليها منذ أن وجهت الكنيسة نداءها لدراسة الشرق الاسلامي وأحوال المسلمين ولغة القرآن الكريم . ان الخطط الاستعمارية التي أدت الى نجاح الاستعمار كانت محل دراسة وعناية الاستشراق لتسهيل المهمة العسكرية في اصابة الأهداف :

« ومن الملاحظ أن الدول الغربية لما قويت في العصور الحديثة وبدأت تتطلع الى استعمار الشرق لعب الاستشراق دوراً هاماً في هذا الانفتاح الغربي على الشرق . فلما أرادت هذه الدول عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه والانتفاع بتراثه والتزاحم على استعماره ، أحسنت كل دولة استعمارية الى المستشرقين فيها فضمهم الملوك الى حاشيتهم ، كأمناء أسرار وترجمة ، وأندبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية الى بلدان الشرق . وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية . وأجزلوا لهم عطاءهم في الحل والترحال ، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية الجامع العلمية » (١)

(١) نجيب العقيقي . « المستشرقون » ج ١ . ص ١١٤٩ أنظر كذلك « أضواء على الاستشراق » ص ٢٥

هكذا ظهرت قوة الاستعمار على البلاد الاسلامية والتي توزعها المستعمرون فيما بينهم وفرقوها اجزاء وأشتاتا ليسودوا في الأرض . ولكن الله لم يمكن لهم : اذ قاوم أهل البلاد من المسلمين واثارت ثورتهم وبدأت أوروبا تحس المناهضة الكبيرة من أبناء المسلمين المجاهدين لما عانوه من وحشية الاستعمار وظلم المستعمر فرد الله كيد المستعمرين ودحروا ونالت الشعوب الاسلامية الاستقلال بعد أن ضمن المستعمرون النجاح في حرب أخرى حرب الغزو الفكري الذي ترك في بلاد المسلمين قبل الخروج منها أتباعا له فيها يساعدون في تذليل الصعاب والقضاء على الاسلام والمسلمين . لقد لجأ الغرب الى حرب المسلمين بوسيلة هي أشد فتكا ، وأكثر صلابة من حرب السلاح ، لجأوا الى الحرب الفكرية التي تعتمد الى هز النفوس وقهرها ، وزعزعة الشخصية الاسلامية بقصد احداث التخلخل في عرى الارتباط بالعقيدة ، والتراث : بهذا قويت حركة الاستشراق وأشتد عودها بعد أن نجحت الخطط الاستعمارية الأولى في تحقيق الوسائل التي لجأت اليها أوروبا في الاستيلاء على البلاد الاسلامية وتقسيمها الى شعوب قومية لا رابطة بينها . هكذا أصبحت حملات الاستشراق أقوى من الحملات الصليبية ، أقوى من الاسلحة المقاتلة هذه حرب الغزو الفكري الذي يشبه التبشير والذي قام على دعائمه الاستشراق فكان من أهداف الاستشراق الأولى أن يحاولوا اطفاء نور الله سبحانه وتعالى في الأرض ولن يفلحوا أبداً ولو كرهوا ذلك لأن العليم القدير يقول :

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام﴾

والله لا يهدي القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله
متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»^(١)

ان من أهداف المستشرقين العمل على الوقوف في وجه الشعوب
التي لا تدين بالاسلام ليمنعوهم من الدخول في دين الله الحق الدين
الاسلامي بما يعملون جاهدين في تشويه الاسلام وتغيير الصورة
الحقيقية لهذا الدين الحنيف . وان اظهار الاسلام بصورة محرفة
ومستكرهة أمام الشعوب غير المسلمة بقصد صدهم عن سبيل الله
وما نزل من الحق وردهم عن الدخول الى دين الاسلام . انما
أعتمد المستشرقون فيه على استغلال الكراهية والتعصب الموجود بين
الغربيين وأتباعهم منذ الحروب الصليبية من ذلك العمل على رد
المسلمين عن الاسلام واجبارهم على الكفر وقبول النصرانية أو
اليهودية كدين أمثل وأفضل من دين الاسلام وهذا ما يشير اليه
معظم المستشرقين أنفسهم .^(٢) ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يتأتى
لهم فقد تكفل الله باتمام نوره ونذرهم يموتون غيظا وحسدا من عند
أنفسهم كما يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
خَبَالًا وَدُوا مَا عَنَّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ أَنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَآئِنَّمْ آوَاءُ

(١) الصف . الآيات ٧ - ٩

(٢) « الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية » . ص ٩

تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا
وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله
علم بذات الصدور . ان تمسككم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما
يعملون محيط ﴿١﴾

ان المستشرقين كما أسلفنا هم من أبناء اليهود والنصارى أو ممن
يحقّدون على الاسلام فلهم آمال وأمانى لا برهان لهم فيها ، لهذا فهم
يعملون على تشويه حقيقة الاسلام واظهاره بغير مظهره الحقيقي ،
بمظهر غير لائق في مقابل اليهودية والنصرانية ، ويقولون وكأنهم
ملكوا مفاتيح الجنة بأن لا يدخلها الا اليهود والنصارى . كما يذهبون
الى اثبات تفوق الحضارة الغربية ، الحضارة المادية وأن مرد ذلك
هو الاعتقاد في اليهودية والنصرانية ، ولقد قالوا أكثر من ذلك .
والقصد من هذا كله هو خلق روح التخاذل ، والشعور بالنقص في
نفوس أبناء الأمة الاسلامية . وهذا الهدف من أهم الأهداف التي
يسعى اليها المستشرقون وهو أن يجعلوا الناس يكفرون بالحق ليشرحوا
صدورهم للباطل والكفر وهذا قوله عز وجل :

﴿ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سوءا فلا تتخذوا منهم
أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم وأقتلوه حيث
وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولية ولا نصيرا﴾ (٢)

(١) آل عمران . الآيات ١١٨ - ١٢٠

(٢) النساء . الآية ٨٩

هذا هو شأن المستشرقين يريدون بالاسلام السوء بما يبذلون من جهد كله كذب وافتراء فمن تبعهم فهو منهم . واذا كان من أهداف الاستشراق التشكيك واثارة الشبهات حول الاسلام ورسوله ﷺ بقصد اثارة الفتن بين المسلمين فلا غرابة في ذلك ، لأن الاستشراق منذ ظهوره حتى العصر الحالي وهو وثيق الصلة بالمؤسسات التبشيرية والأوساط السياسية ذات الأغراض الاستعمارية التي تعتمد على اثارة الفتن من مبدأ فرق تسد . فكيف يتحقق هدف المبشرين اذا لم يشكك المستشرقون المسلمين وغيرهم في الاسلام ومبادئه ؟ وكيف يتحقق هدف الاستعمار والمستعمرين اذا لم تثر الشبهات حول الاسلام لاثارة الفتن بين المسلمين ؟ وكيف يصل الجميع من أعداء الاسلام الى تحقيق أهدافهم وأغراضهم بدون هذا كله ؟

ولنعلم أنه اذا كان قصد المستشرقين هو التشكيك واثارة الشبهات حول دين الاسلام وحول دعوة الرسول ﷺ . فان هذا القصد ليس بجديد على الدعوة الاسلامية . ان هذا الأمر المتضمن التشكيك والقدح في الاسلام ورسوله ﷺ كان منطق المشركين والكفار منذ أن صدع عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام برسالته ، لقد قال المشركون ان ما أتى به محمد ﷺ انما هو افك مفترى والى هذا يشير سبحانه وتعالى بقوله :

﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا فك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءو ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض

إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. ﴿١﴾

مما قاله المشركون والكفار في العصور الغابرة مجملًا ومختصرًا جاء المستشرقون ليفصلوا ما أجمل فلم يأتوا بجديد إذ أن من طمس الله على قلبه في أي زمن من الأزمنة لا يقول الا مثل ما قال الأولون . نعم لقد زعم المستشرقون الكثير من الأقاويل التي أشارت إليها الآية ، فقالوا ان الاسلام في تشريعه أخذ من الجاهلية صلاة الجمعة وصوم عاشوراء وتطيب البيت الحرام ، ونظام الأشهر الحرم ، والحج والعمرة وأخذ من الصائبة الصلوات الخمس ، والصلاة على الميت ، وتحريم الميتة ولحم الخنزير وتحريم الزواج من القريبات ، وأخذ من الهندية والفارسية قصة المعراج ، واللجنة والخور العين ، وأخذ من اليهودية قصة قابيل وهابيل ، وقصة ابراهيم ، وأخذ من النصرانية قصة أهل الكهف وقصة مريم العذراء . (٢) لقد جعل المستشرقون من الاسلام خليطًا مركبًا من عدد من الديانات الوثنية والسماوية وكأنه جملة أساطير اكتسبها الرسول ﷺ ، وهم مرة يقولون أن النبي ﷺ ليس بأمي فهو يعرف القراءة والكتابة ومرة ينكرون ذلك (٣) هكذا قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر والبهتان والافتراء عليه ﷺ . وحتى يكون الغزو الفكري الذي لجأ اليه الغرب من خلال جهود المستشرقين قائمًا على قدم وساق ويتم بصورة محكمة في تحقيق الأهداف فقد تم تنظيم

(١) الفرقان ، الآيات ٤ - ٥ - ٦

(٢) ابراهيم خليل احمد (الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبرالية العالمية) ص ٦٧ - ٦٨

(٣) « الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين » ١٣٧ - ١٣٨ .

الدراسات الاستشرافية بتوزيع التخصصات الدراسية والعلمية التي تتصل بدراسة الاسلام وحضارته ولغته ، فنجد من المستشرقين من ذهب الى دراسة التاريخ الاسلامي ، ومنهم من عكف على دراسة الفرق والمذاهب ، ومنهم من درس الحديث ومصطلحاته . وبعضهم ركز على دراسة المظاهر الحضارية والعلمية الأخرى كالطب ، والهندسة . والفلك . وبعض المستشرقين اهتم بدراسة اللغة العربية وآدابها ، والقصد من هذا التنظيم الأكاديمي والتخصص هو أن يكون عمل كل مستشرق في مجال فنه مكتملا لأعمال الآخرين لتكون لدى الهيئات التبشيرية ، والمنظمات السياسية ممثلا في وزارات الدفاع ووزارات الخارجية صور متكاملة تساعد على التخطيط السليم بما يؤدي الى تدمير المسلمين والدين الاسلامي . ونضرب على ذلك المثال بما يقوم به قسم الدراسات الاستشرافية في جامعة انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية Indiana University Bloomington. فهذا القسم تخصص في دراسة اللهجات العربية للأغراض الحربية^(١) ويوجد به الكثير من الذين يوجهون للعمل في مجالات العسكرية والأعمال الدبلوماسية^(٢)

(١) انظر :

'A critica Analysis of Islamic Studies at North American Universities.

(٢) أردت أن أدرس بجامعة انديانا مادة اللغويات لما لهذه الجامعة من الشهرة في هذا المجال وقد تقدمت بطلب الالتحاق لإدارة هذه الجامعة وشاء المولى سبحانه وتعالى وقبلت بها لدراسة الماجستير ، ولكنني فوجئت أن قبولي مشروط على أن أدرس بقمسى اللغويات والدراسات الشرقية اذ المعروف أن معظم من يدرسون مادة اللغويات يطبقون النظريات اللغوية على لغتهم الأم وليس على اللغة الانجليزية فالعربي يطبق على العربية ، والفرنسي على الفرنسية وهكذا . ولقد كنت على صلة -

ان هذا التخصص وأمثاله من التخصصات الدقيقة يعكس لنا النوايا السيئة التي يكنها الغرب للقضاء على الاسلام والمسلمين ، فهم لا يزالون يقاتلوننا حتى نوليهم الأدبار ونرتد عن ديننا . لماذا لا تهتم الدراسات الاستشرقية بدراسة النظام الأسري في الاسلام ؟ لماذا لا تهتم بنظام الميراث في الاسلام ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟ اذا كان زعم الاستشراق هو البحث العلمي والتمحيص الأكاديمي . فالقصد ليس البحث العلمي ولكنه الحرب الفكرية والهدم العقائدي .

ومن الملاحظ أن للدراسات الاستشرقية أهداف ظاهرة وأخرى غير ظاهرة . فالأهداف الظاهرة تبدو للانسان وكأنها الحق والصواب لما فيها من النزاهة وحسن النية في خدمة الاسلام وتراثه . بما يقوم به المستشرقون من أعمال الترجمة والفهرسة ، والكشف ، والجمع ، والنشر والتحقيق ، والتأليف والتصنيف ، وتخصيص بعض المجلات الدورية باسم الاسلام والشرق وعقد المؤتمرات والندوات . كل هذه الأمور تعكس مدى الاهتمام بالاسلام وخدمته مما لا نظير له لدى المسلمين . فكيف يشك الانسان في مثل هذه الأعمال ؟ ولكن تحت هذه الأهداف الظاهرة أهداف غير ظاهرة يتسلل المستشرقون تحت ستارها الى تحقيق أغراضهم السيئة وهي

= مع احد الزملاء هناك وقد اطلعت على ما يمكن أن ألقاه من متاعب في قسم الدراسات الشرقية اذا لم أساهم بما يفيد الاستشراق من خلال الأبحاث الدورية التي يكتبها الطلاب للمدرسين والموجهة من قبل القسم نحو دراسات معينة فأبت على نفسي أن أكون حربا على الاسلام ولغة القرآن فعدلت عن سفري الى هناك ووقفني الله الى خير كثير والحمد لله رب العالمين .

الأهداف الحقيقية للاستشراق ، تلك التي تعنى بالاساءة الى الاسلام والقدح في الشريعة الاسلامية وتعاليمها ، والتشكيك في نبوة الرسول الكريم ﷺ ودعوته ، واطهار الشبهات حول كتاب الله العزيز .

ويمكن للدارس المتبع لمناهج المستشرقين وطرقهم في البحث والتأليف أن يتقصى أهداف الاستشراق بما تعود أن يفعله المستشرقون في كتاباتهم . ويمكننا الاشارة الى أن المنهج العام والطريقة الرئيسية المتبعة عند معظم المستشرقين في التأليف والكتابة عن الاسلام تشمل ما يلي :

- ١ - حياة الرسول ﷺ ودعوته ونبوته .
- ٢ - العقيدة الاسلامية .
- ٣ - الشريعة الاسلامية . وتشمل القرآن والحديث .
- ٤ - الخلافة ونظام الحكم .
- ٥ - الفرق المتعددة التي ظهرت بين المسلمين عبر التاريخ .
- ٦ - الحياة العقلية .
- ٧ - اللغة العربية وتراثها وآدابها .
- ٨ - التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية .

وهذا المنهج لا يكاد يخلو منه الاتجاه العام لكتابات المستشرقين وهو موجود في غالبية كتب الاستشراق كما هو ملحوظ في كتاب جولد تسيهر المعروف باسم « في الدراسات الاسلامية » والذي كان

اسمه الأول « في العقيدة والشرعية » .^(١) وإذا ما تمكنا من فحص هذا المنهج في كتابات المستشرقين ولو بعض أجزاء منه أمكننا تفنيد أهداف الاستشراق ومعرفة ما يصبو اليه وأن الستار الخاجب للأغراض الحقيقية للاستشراق يمكن كشفه وإثبات بطلان الزعم القائل بأن الاستشراق اتجاه أكاديمي يعنى بالبحث العلمي وخدمة الاسلام وتراثه^(٢) .

ان الرسول ﷺ هو النبي المرسل لتبليغ الناس الدعوة الاسلامية خاتمة الرسالات ، فالحديث عن حياته ﷺ وعن دعوته ونبوته بصورة ايجابية وحقيقية هو الأساس لقبول الدين الاسلامي واعتناقه ، والحديث عنه ﷺ بصورة سلبية هو المفتاح الأول الذي عن طريقه يمكن أن يقتنع القارئ بأن هذا النبي ان هو الا رجل به جنه ، مبتدع كذاب وأن لا صحة لدعوته ونبوته عليه السلام^(٣) لهذا اعتمد المستشرقون في مناهجهم على أهمية الكتابة عن شخصية الرسول ﷺ ليردوا الناس عن دينهم ان استطاعوا ولكي يكونوا حजर عثرة في طريق من يبحث عن الحق ودين الحق . ان الحديث عن محمد رسول الله هو احدى القضايا الكبرى في الفكر الاسلامي

(١) « موقف المسلم من الدراسات الاستشراقية » . ص ٧

(٢) لقد تناول أستاذنا الكريم الشيخ محمد الغزالي في كتابه « دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين » آراء المستشرق جولد تسيبر ورد عليها وأثبت بطلانها في مجالات كثيرة . أنظر كذلك تعقيب الأستاذ احمد محمد جمال على أقوال جولد تسيبر في كتابه « على مائدة القرآن مع الكتاب والمفسرين » الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ

- ١٩٧٤م ص ١١٠ - ١٢٩

(٣) « الاسلام والمستشرقون » . ص ٢٧ - ٣٥

والانساني والحضاري التي تقوم على اصطفاء الله سبحانه وتعالى للمصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وتنامى الايمان به جيلا بعد جيل^(١) لقد قال بعض المستشرقين الكثير عن حياة الرسول ﷺ وعن نبوته ودعوته ، وأن الوحي الذي يقول به انما هو ادعاء باطل وانما هو مجرد نوع من الهستيريا . ونوبات من الصرع أو نوع من العبقرية الشعرية . وقال آخرون أن الدين الذي جاء به سيدنا ونبينا محمد ﷺ انما يعبر عما كان يعتقد رهاب نصراني اسمه بجيزا وكان هذا الراهب يملئ على النبي ﷺ الأقوال والتشريعات فيأتي بها الرسول ﷺ الى قومه ويدعي أن ذلك وحي من السماء أوحى اليه به المولى سبحانه وتعالى . وهذا ما جعل بعض اعداء الاسلام يذهب الى أن الدين الاسلامي ليس الا نتف من بعض نسخ التوراة والانجيل المهجورة وبعض آراء المتحشثين من أهل الكتاب .^(٢) ولقد قبل أن القرآن الكريم من وضعه ﷺ وأن السنة المطهرة من تأليف بعض الذين اتبعوا محمدا ﷺ بعد أن خدعوا بما زعم . ولقد تورط الكثير من المستشرقين في عدم فهمهم للنصوص وعدم معرفتهم لفقهاء اللغة العربية - مع ظاهر ادعائهم باجادة اللغة العربية - في كثير من الأغلاط والأخطاء التي تدل على الجهل والمكابرة فمن ذلك مثلا ما يذهب اليه المشككون في أن محمدا ﷺ

(١) من الكتابات الحديثة عن كتابات المستشرقين عن الرسول ﷺ كتاب « الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين » وقد ظهر هذا الكتاب في نفس سلسلة دعوة الحق التي تصدر عن رابطة العالم الاسلامي .

(٢) سفر عبدالرحمن الحوالى . « العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة » . ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

استقي تعاليمه من الكتب والأديان الأخرى والتي على ضوءها وضع كتابه المزعوم القرآن الكريم ما نرى من تفسير بعض المستشرقين لقوله سبحانه وتعالى :

﴿يَا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾^(١)

فقد ذهبوا الى القول بأن المقصود هنا بمرم هي العذراء أم عيسى عليه السلام وأنها هي أخت هارون ، مع ما يثبت التاريخ وكتب السير من الفارق الزمني الكبير بين الاثنين ومع هذا فقد ذهب كثير من المستشرقين ومنهم الانجليزي الفرد جيوم الى تناقل هذه الفكرة لاثبات أن المصطفى ﷺ استمد تشريعات الدين الحنيف من مصادر متعددة لا صلة لها بالسماء والوحي الذي نزل على بقية الأنبياء . ومن مثل هذا ما قال المستغرب المسيحي اللبناني فليب حتى ذلك أنه يرى بأن الرسول ﷺ استقى معلومات الدين الاسلامي من مصادر وثنية وغيرها ويرى أن الدين الاسلامي مجرد تركيبة مختلطة من عدة عناصر فيقال أن الرسول ﷺ أخذ الكثير من صاحبيه سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وكذلك من زوجته مارية القبطية .^(٢) بهذا يرى المستشرقون أن الاسلام جزء من مجموعة الأديان الوثنية التي وجدت في بلاد الشرق والجزيرة العربية ، والهند وفارس .^(٣) وهذا مثال آخر للمستشرق البريطاني

(١) مريم ، الآية ٢٨

(٢) « الاسلام والمستشرقون » . ص ٣١

(٣) « العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة » ص ٥٤٤

وات ٧٨٣ في حديثه عن الرسول ﷺ اذ أنه يرى بأن محمدا ﷺ كان شديد الثقة بنفسه ، وكان اذا حدثت حادثة في حياته ﷺ واعتقد أنها صالحة لقومه فانه يصوغ ذلك الأمر في كلام قرآني ثم يعتقد هو نفسه أن هذا كلام الله أوحى اليه به فيقدمه للناس على أنه كلام الرب والمولى سبحانه وتعالى^(١) بل ذهب بعض المستشرقين الى القول بأن القرآن الكريم من وضع النبي محمد ﷺ وقد أملى معظمه عليه راهب نسطوري تعلم على يديه الرسول ﷺ مدة طويلة بالشام^(٢) . كيف يمكن للرسول ﷺ أن يكون قد وضع القرآن بنفسه وكتبه في دفتي المصحف ، وكيف له أن يعرف القراءة والكتابة ، وحقائق التاريخ وكتب السير تعرف أن الرسول ﷺ كان أميا ولكن تجاهل المستشرقين ورغبتهم في اتباع الظن والهوى يجعل الرسول ﷺ تارة أميا وتارة خلاف ذلك حسب ما يتفق وآراءهم والمولى سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل :

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم راحهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وأتبِعُوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله

(١) « الاسلام والمستشرقون » . ص ٣٤

(٢) « العلانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة » ص ٥٤٤

وكلماته وأتبعوه لعلمكم تهتدون^(١) ان اتهام المستشرقين وافتراءهم على رسول الله ﷺ بأنه وضع القرآن من عند نفسه وأوهم الناس بأنه كلام الله ليس الا فرية قديمة قال بها مشركوا مكة وكفارها حيث قالوا ان القرآن قول شاعر ، وقول مجنون ، وقول رجل به جنه ، وقول ساحر وقالوا انه من أساطير الأولين . فمنطق القدماء هو منطق المحدثين والكفر ملة واحدة ، اذ أن الجميع من أعداء دين الحق يهدفون الى المحاولة في قطع الصلة بين المسلمين والقرآن الكريم وبالتالي التشكيك في نبوته ﷺ ، من مثل هذه الأمور والأخطاء التي يقع فيها المستشرقون يمكن أن نجمل القول بأن المستشرقين يجدون في البحث والاستقصاء عن شخصية الرسول ﷺ بقصد انتحال الأدلة والبراهين لما يبرر آرائهم ويتفق مع أهوائهم وكل ذلك مبنى على تجاهلهم لحقائق التاريخ وجهلهم للغة العربية ونحوها . وكتابات المستشرقين عن حياة النبي محمد ﷺ ودعوته تشمل الحديث عن العقيدة الاسلامية ، تبدأ بالتشكيك في حقيقة القرآن الكريم وأنه من وضعه ﷺ ، وأن ما فعله الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في نقلهم للقرآن الكريم على أنه كلام المولى سبحانه وتعالى انما جاء نتيجة سذاجتهم ، وإيمانهم الأعمى بمحمد ﷺ الذي سحر قلوبهم واستحوذ على عقولهم .^(٢)

ويذهب المستشرقون الى أن السنة المطهرة وأحاديث رسول الله ﷺ انما هي من تأليف الناس وهي مجرد أكاذيب وأقوال ملفقة

(١) الأعراف . الآيات ١٥٧ - ١٥٨

(٢) علي جريشة وزميله . «أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي» ص ١٨

نسبت اليه ﷺ. وهذا التشكيك في السنة المطهرة وأحاديث المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام انما هو قائم على معرفة المستشرقين لأهمية السنة ومكانتها عند المسلمين وأنها المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ، فاحداث الخلخلة في معتقدات المسلمين في السنة والقدح في أقوال النبي الكريم صلوات الله عليه وسلامه يعنى زعزعة عقيدة الناس وإيمانهم بدين الله سبحانه وتعالى وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي :

« ثم هناك السنة وهي المصدر الثاني لتعاليم الاسلام وقد لقيت هي الأخرى من عناية الأمة الاسلامية ما يجعلها مستيقنة في الجملة . ولما كان بعض الناس ضعيف الدراية بطبيعة هذا المصدر فنحن نشرحه بكلمات وجيزة .. ونسارع الى القول بأن التاريخ لم يحك عن أمة من الأمم أنها احتفت بآثار نبيها ، واستقصتها وغربتها ، ووضعت أدق القوانين العلمية لقبولها مثل ما فعل المسلمون بتراث محمد ﷺ من قول أو فعل وقضاء وتقرير . وليس في دين من الأديان ولا مذهب من المذاهب هذا الوزن العجيب للأسانيد والمرويات وهذه المحاكمة المنصفة لما ينقل عن صاحب رسالة » (١) .

وعموما فان المستشرقين يذهبون الى أن الشريعة الاسلامية بمصادرها المعروفة من كتاب وسنة واجتهاد انما هي من وضع البشر فخلطوا بين المصادر الالهية المعتمدة على الوحي وجعلوا منها شها

(١) « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » ، ص ٧٨

للقوانين الوضعية والمعتقدات التي وضعها الانسان . ولتأكيد مثل هذه المفتريات واثبات صحة أقوالهم المزيفة بقصد احداث البلبلة في نفوس المسلمين قال المستشرقون بأن الفقه الاسلامي ومصادر الشريعة الاسلامية بنيت على أسس من القوانين الرومانية وأن أصول الفقه مستمدة من بعض القوانين التي كانت سائدة في الزمن الذي ظهر فيه الاسلام ونادى محمد ﷺ بدينه ودعوته . كيف يكون الأمر كذلك وهناك الكثير من المفارقات وأوجه الخلاف والاختلاف بين الشريعة الاسلامية والقانون الروماني في النواحي الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية والنظم المالية والميراث والحقوق الزوجية ونظام الأسرة ؟ والقول بأن الفقه الاسلامي والشريعة الاسلامية تقوم على أصول القانون الروماني قول مناقض للحقيقة ، والهدف من هذا الزعم هو اسقاط توحيد الألوهية^(١) والاشادة بأهمية القوانين الوضعية ليتسنى لضعاف المسلمين الأخذ بالقوانين البشرية وتطبيقها بما يوافق رغبات النفس ونزعات الهوى وهذه ملة اليهود والنصارى خصوصا فيما يتعلق بالأنظمة الاقتصادية الربوية ، وأنظمة التأمينات ، والأنظمة الاجتماعية المتعلقة بحياة الزوجين ، والأسرة ونظام الطلاق وتعددده أو اتخاذ الخليلات والأخدان بديلا عن تعدد الزوجات دون وازع من ايمان أو رادع من تشريع . ان مثل هذا الزعم من المستشرقين أمثال جولد سيهر وغيره مرفوض وغير مقبول كرفضنا لقول أي قائل في زماننا هذا بأن أمريكا نقلت

(١) « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » ، ص ٧٨

والتشكيك في العقيدة والشريعة الاسلامية أخذ جوانب كثيرة في الجدل والنقاش وموضوعات كثيرة طرقت مفاهيم القضاء والقدر ، وعقيدة الاختيار عند الانسان والحيوان وقضايا القدر والفلسفة وما الى ذلك من الأمور^(١) التي تهدف الدراسات الاستشرافية الى الانتهاء في نهاية المطاف الى القول بأن الاسلام دين باطل .

ومن أهداف الدراسات الاستشرافية العمل على اثاره الفتن واحياء النزعات والعصبية المذهبية والنزاعات الطائفية والعقائدية بين الفرق التي وجدت عبر عصور التاريخ الاسلامي مثل النزاعات التي قامت بين أهل السنة والمعتزلة في فتنة خلق القرآن وقضايا العذاب ، وأقوال المتكلمين والأقوال الواردة في البدع ، وأمور الخلافة . بعد مرور قرون طويلة على هذه الخلافات والتي تكاد تنسى بين المسلمين الا أن النوايا السيئة والأهداف الفاسدة التي دفعت المستشرقين للخوض في مثل هذه القضايا سبيل من أهم السبل التي عمل الاستشراق على احداثه بقصد إيجاد الشقة والفرقة واثارة الفتن بين صفوف المسلمين^(٢) وبمعالجة هذه القضايا في الكتابات الاستشرافية ينتهي المستشرقون الى تقسيم المسلمين الى أحزاب وفرق وطوائف ثم يصفون علاجاً لهذا التفكك وهو التزام المذاهب الطرقية المتصلة بالصوفية التي عادة ما تنتهي الى الرهبانية

(١) المصدر السابق ، ص ١١١ - ١١٢

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢١ - ١٢٩

والختنوع ، والقول بأن التصوف مما تتسع له دائرة الاسلام .
والهدف من الدعوة الى الصوفية وطرق التصوف هو صرف الناس
عن الجهاد واعمال الفكر وتحريك الذهن اذ أن الجهاد وتحريك
الذهن من أكثر الأمور التي تخيف الصليبيين وتفرزعهم والتصوف
يساعد على تحقيق أهم أهداف التبشير والاستشراق وهو عدم توسع
دائرة الاسلام وانتشاره بسبب انشغال الناس في مظاهر عبادة
تتعلق بالرهبة والتصوف وبهذا يتسنى نشر المسيحية واليهودية
والعقائد الهدامة المخرفة والمضللة والتي تعود بنتائج سيئة فيها هلاك
الأمم ودمارها وهي اتجاهات أثبتت فشلها في جميع مجالات الحياة
خصوصا في البلاد الاسلامية فلم تنجح الاشتراكية ولا اللبرالية ولا
الرأسمالية فقد فشلت كلها اقتصاديا ، وعسكريا ، وروحيا ،
وأخلاقيا .

وبث روح التفرقة واثارة الفتن الطائفية والاعتماد على التصوف
والطرق الصوفية وعلى أنها المجال الوحيد للتربية الروحية وكذا الحال
فانهم يرون أن لا سبيل لحياة الانسان الا باتباع الشيوعية ،
والرأسمالية ، والماسونية ونظم العلمانية وهذا هو حاضر العالم
الاسلامي وحاله اليوم^(١) وهذا ما سعى اليه الصهاينة واليهود
والنصارى وجميع أعداء الاسلام للعمل على الحيلولة دون اجتماع
المسلمين في وحدة واحدة بتفتيت الجهود وخلق وحدات زائفة بين
شعوب الأمة الاسلامية وحدات مبنية على شفا جرف هار عادة ما

(١) « العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة » ، ص ٥٤٩

تنتهي الى خلافت وحروب تؤدي الى مزيد من الفقرة وهذا ما يدخل السرور الى الشعوب التي تتربص بالاسلام وتعمل على دحر الدين الاسلامي وعدم انتشاره .

وقبل الاسهاب في القاء الضوء على مزيد من أهداف الدراسات الاستشراقية يجدر بنا أن نلخص للقارئ ما سبق ذكره في أطر رئيسية توضح أهداف الاستشراق في جمل مختصرة :

١ - اثبات بطلان الاسلام كدين وأنه قوة سياسية قامت على القمع والارهاب ونشر عقائد فاسدة أرغم الشعوب على قبولها بحد السيف فأخضع الناس دون رغبة منهم الى دين مزعوم^(١) وهو بذلك أي الدين الاسلامي عبارة عن سلسلة مخيفة من سفك الدماء والمذابح والحروب وأن الاسلام ليس الا مزيجاً مشوهاً من الآراء والقوانين والمدركات الخاطئة .

٢ - اثبات عدم صحة دعوة النبي محمد ﷺ ونبوته وأن الكتاب والسنة انما هما من وضعه عليه الصلاة والسلام وأن التشريع الاسلامي مبني على أسس بعض الحضارات القديمة والقول بأن الرسول ﷺ عابد أصنام وأحد كذابي مكة .

٣ - مسخ حقيقة العرب ولغتهم وتراثهم العربي وبالتالي الانقاص من شأن حضارة العرب والمسلمين لتحقير حال العرب لأن النبي ﷺ عربي قرشي وبالتالي تحقير اللغة العربية التي هي لغة

(١) « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » ، ص ٤١

القرآن الكريم .

هذه هي خلاصة الأهداف الرئيسية التي تقوم عليها الدراسات الاستشراقية الى جانب بعض الأهداف الأخرى ، فمثلا بما يخص التراث العربي الاسلامي يمكننا أن نرى بعض النماذج الموجودة في كتابات المستشرقين والتي تتعلق باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم والقول بأنها لغة لا تصلح لكل أمة وشعب خصوصا من أبناء الشعوب غير العربية . فذهب المستشرقون الى احياء لغات قديمة وميتة من ذلك مثلا ما فعله شمبليون الذي بحث في حجر رشيد وعمل على احياء اللغة الهيروغليفية في مصر وكذا ما فعله بعض المستشرقين في احياء حضارات ولغات الأمم الأخرى وذلك بقصد قطع الصلة التي تجمع المسلمين والأمة الاسلامية بلغة القرآن الكريم ، والقرآن الكريم نفسه المكتوب باللغة العربية ومثالا على ذلك ما فعله مصطفى كمال أتاتورك في تركيا المسلمة في العصر الحديث حيث أمات اللغة العربية وتعلمها مما أدى الى جهل الناس بحقيقة القرآن وعدم الاقبال على تلاوته وتعلم قواعده وتفسيره ، وحول هذا العلماني أتاتورك الحروف العربية واستبدل بها حروفا لاتينية وذلك تنفيذا لما أخذه على نفسه من عهد في ارضاء اليهود والنصارى الذين جاءوا به الى السلطة بعد الاجهاز على الخلافة العثمانية ، بل الأكثر من ذلك أن أتاتورك هذا قد جعل المناذاة بالأذان للصلاة بالتركية بدلاً من العربية .

هكذا لجأ المستشرقون وأعوانهم من المستعمرين الى استخدام

جميع السبل والوسائل في تغيير روح الاسلام والمساس بحضارته ولغته ، فباسم البحث الجيولوجي تستر شميليون في الدعوة الى الهيروغليفية وأنها لغة مصر الأولى وبهذا يسعى المستشرقون الى تحقيق هدف القومية والشعوية وربط الأمة الاسلامية بالأرض والآثار الجاهلية التي قضى عليها الاسلام بدلا من أن يكون ارتباط الأمة الاسلامية بالعقيدة والشرعية الاسلامية .^(١) وبالنظر الى مثل هذه الأمور والبحث عن الآثار ومعرفة التركيب الطبقي للأرض والتحليل الجيولوجي والتربة والصخور كل ذلك وسيلة توصل الى هدف من أهم أهداف المستشرقين وهو احياء الجاهلية ، والماضى الذي كان وبالأعلى على الأمم والشعوب . وما زلنا نتحدث عن اللغة العربية وكيف أن المستشرقين يسعون الى استبدالها بلغات أخرى فانهم أيضا يعملون جاهدين على استبدال اللغة العامية باللغة الفصحى وتشجيع الألوان والصور التي يظهر فيها استخدام العامية كالفلكلور الشعبي والرقص القومي والفنون الشعبية وجعلها كمصادر لتعلم اللغة العربية^(٢) ، بدلا من القواعد السليمة الموجودة في القرآن الكريم والشعر العربي ومؤلفات النحاة وأئمتهم^(٣) .

ان ربط المسلم بلغة القرآن اللغة العربية فيه شد لأزره وسبيل للحفاظ على دينه ، وفي ذلك أيضا حافز يجعل المسلم يلتمس الطريق للتفقه في أصول عقيدته ، وفصل المسلم عن هذه اللغة يقود

(١) أنظر : *Orientalism*, PP 121-122

(٢) محمد محمد حسين . « حصوننا مهددة من داخلها » ، ص ٧٧ - ٧٨

(٣) محمد محمد حسين . « الاسلام والحضارة الغربية » ، ص ٢١٧ - ٢٢٠

بالتالي الى فصله عن أصول العقيدة وعن معرفة الدين والمنهاج السليم للسلوك الاسلامي الصحيح وبهذا يمكن للمستشرقين تحقيق هدف من أهدافهم وهو الانقاص من شأن اللغة العربية واماتها واعتبارها لغة غير صالحة ، ولكن قد غاب عن أذهان هؤلاء المستشرقين أن القرآن الكريم قد تعهد العليم القدير سبحانه وتعالى بحفظه من التشويه والتشويش وفي هذا يقول عز وجل :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)

وفي هذا الكثير من الضمان في حفظ كتاب الله العزيز بتشريعاته وما احتوى عليه من تعاليم ، وفي رسمه وما أحتوى عليه من لغة وكلام لغوي وأدبي . وفي هذا ضمان لاستمرارية اللغة العربية مهما حاولت أيدي العابثين للأخذ منها واستبدالها بالعامية .

وأهداف المستشرقين في القضاء على اللغة العربية واضح جدا في حركاتهم المخربة كاستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية كما حصل في تركيا أو استخدام العامية واللهجات المحلية عوضا عن الفصحى ، ودعواهم هذه ظاهرها الدعوة الى القومية والشعوبية والدعوة الى احياء الفرعونية في مصر والآشورية في العراق والبربرية في شمال افريقيا ، وكذلك الدعوة الى تفضيل الفارسية كلغة آرية على العربية كلغة سامية .^(٢)

ان أهداف الدراسات الاستشراقية العمل على ايجاد

(١) الحجر ، الآية ٩

(٢) محمد البهي « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » ص ٤٦٠

الاضطراب في التشريعات والأحكام الإسلامية فهم يخوضون في أبحاثهم في قضايا أحكامها في منتهى الوضوح المدعوم بأدلة العقل والنقل ، فهم يبحثون في قضية تعدد الزوجات وأن ذلك مردد حب النساء وأن هذا الأمر مسألة جنسية بحتة . ولكن هل قوانين الإسلام التي تدعو الى الحلال وأن يكون للرجل أكثر من زوجة بطريق شرعي أفضل ؟ أم قوانين البشر التي تحرم على الانسان التعدد المشروع وتبيح التعدد غير المشروع فيعيش الزوج مع زوجة واحدة في البيت وعشر خليلات في خارج المنزل . هل نظام الخليلات ومتخذات الأخدان أولى ؟ أم أن الزواج وتعددته أفضل ما هو القصد من المجالات الجنسية التي تصدر بالملايين في الغرب ؟ ما هو القصد من دور البغاء ومسارح الاثارات الجنسية في أوروبا وأمريكا ؟ اليس القصد هو تفريغ الطاقة عن الزوج التي تستدعي منه أن ينفس عنها بوجود زوجة واحدة حالتها تتطلب (من مرض أو عقم) من الزوج أن يتزوج بأخرى فلا يستطيع لأن ما عقده الله لا يحله الا الله أليست كل هذه الأمور جنسية بحتة أليس ذلك حب للنساء . لكن طمست القلوب وعميت العيون عن التفرقة بين تفريغ الطاقة في طريق مشروع أو طريق غير مشروع . والمستشرقون يرون في بعض أحكام الشريعة الإسلامية الكثير من الشدة والتعسف . فهم يرون في رجم الزاني وقتل القاتل ، وقطع يد السارق أنها أحكام وتشريعات غير مألوفة وليست فيها أي نظرة انسانية . هل كان للقاتل الذي قتل نفسا بغير حق نظرة انسانية ؟ هل من زني لم يرتكب جريمة محرمة ؟ والهدف من حديث

المستشرقين عن مقارنة الأديان هو أن ينزلوا القوانين الوضعية والقوانين البشرية المنزلة الرفيعة وأنها هي أصلح التشريعات وأفضل الأسس للمجتمع الانساني وذلك بقصد الخط من قيمة الشريعة الاسلامية والقول بأنها ناقصة ، انهم يقولون هذا وهم يعلمون جازمين أن التشريعات الاسلامية هي أكمل التشريعات وأن القوانين الوضعية فيها الكثير من النقص وفيها كثير من الشدة التي لا رحمة فيها للانسان لأن الذي وضعها الانسان والرحمة من صفات ذات الله العليا فهو أرحم الراحمين . ان المستشرقين يريدون القوانين الوضعية لأنها نابعة مما تهواه النفس ويميل اليه القلب ، ولا يسمحون لأحد أن ينتقص هذه القوانين بأي نوع من النقد . انه لمنطق عجيب لا انصاف فيه ولا حق ، فالمستشرقون يبيحون لأنفسهم أن يخوضوا في القول على الشريعة الاسلامية كيفما شاءوا ولكن يحرمون على غيرهم أن يقول شيئا عن قوانين الانسان في الغرب . بهذا يمكننا القول بأنهم قوم من المطففين لموازين الحق والانصاف وصدق المولى سبحانه وتعالى اذ يقول :

﴿ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين . كلا إن كتاب الفجار لفي سجين . وما أدراك ما سجين﴾^(١)

وما تزال الدراسات الاستشراقية وأعمال المستشرقين في حركة

(١) المطففين ، الآيات ١ - ٨

دائبة فثلاً نلاحظ أن أهداف المستشرقين في العصر الحديث اتسعت لتشمل النظريات التربوية والنفسية ، والخوض في مجالات التربية والعمل على غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين وأبنائهم ، وهذا ما نلاحظه في مناهج ومقررات الجامعات في الدول الإسلامية وخصوصاً فيما يتعلق بالمواد التربوية والنفسية والاجتماعية ، فهناك استمرارية لتدريس الفرويدية والدوركايمية كنظريات نفسية واجتماعية تهدف الى خلق مجتمع متوازن ، ولكن الحقيقة هو هدم القيم الأخلاقية والاجتماعية والسلوكية لتعاليم الاسلام ووضع الغث الذي هو أدنى بدلاً منها . ومهما تنوعت أهداف المستشرقين وتعددت فإن الهدف الأول والأكبر هو محاربة الشعوب الإسلامية بشتى الوسائل والطرق بقصد اخضاع هذه الشعوب لارادة اليهود والنصارى ليستقر لهم الأمر وتكون لهم السيادة ، حيث ان الغالبية العظمى من المستشرقين كما أسلفنا هم يهود ونصارى ، وفي هذا الشأن أجمل الله سبحانه وتعالى ما أسهبنا القول فيه في أوجز عبارة وأدق تصوير اذ يقول :

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾^(١) .

ان الهدف الأكبر لدى اليهود والنصارى هو الهيمنة على الشعوب الأخرى يتم عن طريق الوسائل المادية والاعراضات

(١) البقرة . الآية ١٢٠

المحسوسة التي تستجيب لها النفوس الفقيرة . ولكن هذه السبل لا تنفع مع الشعوب المسلمة . فالمستشرقون كما أسلفنا يعتمدون على زعزعة العقيدة الاسلامية في النفوس اما بالتشكيك في الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، أو في حقيقة نبوته ﷺ . واذا ما فشل المستشرقون في تحقيق أهدافهم هذه لجأوا الى طرق أخرى ، ذلك أنهم يقولون بأن الاسلام كدين تشريعي استنفد أغراضه مثله مثل أي حركة اجتماعية قصدت ارساء بعض الأعراف والنظم الاجتماعية بنهد العادات السيئة في البيئة الجاهلية في جزيرة العرب كعبادة الأحجار وواد البنات . وعلى ذلك فان الاسلام كدين ليس الا ظاهرة معينة جاءت في فترة زمنية محددة وانتهت مهمة هذه الظاهرة في ظل التطورات التاريخية والاجتماعية التي حدثت فيما بعد ، وخصوصا فيما يتعلق بالأنشطة السياسية والحكم والأنظمة الاقتصادية والمعاملات المالية .^(١) ويذهب المستشرقون كذلك إلى القول بأن الدين الاسلامي ودعوة الاسلام إنما هو دين قبلي صحراوي لا ينسجم مع الحياة العصرية المتقدمة في عصر التكنولوجيا والقصد من هذا القول وغيره هو الوصول الى نتيجة مضللة وهي أن سبب تخلف الشرق والبلاد الاسلامية على وجه الخصوص إنما هو التزامها بدين صحراوي قبلي قد استنفد أغراضه في زمن مضى ولم يعد يصلح للزمن الحاضر .

وقبل أن ننتهي من هذا البحث المتعلق بأهداف الدراسات

(١) « العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة » ص ٥٤٦

الاستشرافية يحسن بنا أن نعطي لمحة موجزة عن الوسائل التي استخدمها المستشرقون في نشر أفكارهم وبث آرائهم المسمومة بين أبناء الأمة الإسلامية من ناحية وبين شعوب الأمم غير المسلمة من ناحية أخرى بقصد صد الجميع عن الاسلام اما بالردة عنه واما عدم اعتناقه .

لابد لنا وأن نلاحظ بأن الصلة وثيقة بين الاستشراق من جهة وحركة التبشير والانجهاات الاستعمارية من جهة أخرى . وهذه الصلة الوثيقة ساعدت على تنوع الأساليب الاستشرافية والوسائل التي استخدمها المستشرقون في تصوير الاسلام تصويرا مشوها ومحرفا لا تقبله النفس ولا يقبله العقل . فمثلا كانت الآراء الاستشرافية تنشر في المؤسسات التي أنشأها التبشير كالمستشفى ، والمدرسة والجامعة ، والحجيم ، والنوادي الاجتماعية ، وكذلك كانت الآراء الاستشرافية تنشر في أكبر وسيلة عبر الكلمة المكتوبة من كتب ودوريات ومجلات ، ومحاضرات ، وندوات ومؤتمرات . نعم لقد قام الاستشراق على أكتاف الرهبان والمبشرين كما أشرنا في تاريخ ظهور الاستشراق ثم بعد ذلك وثق الاستشراق صلاته بالاجهزة الاستعمارية ولا زال حتى يومنا هذا يعتمد على القوة التبشيرية والقوى الاستعمارية وان كان أكثر المستشرقين يكرهون أن تكشف حقيقة أمرهم ويتوارون من ذلك باستخدام عناوين وأسماء تخفي حقيقتهم .^(١) مرة أخرى نقول لقد كان التعليم هو أكبر المجالات

(١) « دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين » ، ص ١٣ - ١٤

الواسعة لنشر الأهداف التبشيرية والآراء الاستشراقية بين شعوب الأمم المختلفة وفي مقدمتها الشعوب الاسلامية ويمكننا هنا أن نكتفي بالعبارة الآتية :

« رأى المبشرون أن التبشير يجب ألا يقف عند انتهاء مرحلة التعليم الابتدائي أو الثانوي بل يجب أن يستمر الى مرحلة التعليم العالي لأنه هو الذي يهيئ قادة الشعوب . فاذا استمال المبشرون اذن بعض هؤلاء الذين ينتظر أن يكونوا قادة في بلادهم ، فقد كفلوا التأثير على الشعب كله . من أجل ذلك تبلورت الارساليات الامريكية حول اقامة كليات مجهزة تجهيزا جيدا في استنبول وبيروت وأزمير والقاهرة وغيرها من مراكز البلاد الشرقية . ومع الأيام أصبح الأمريكيون يعتقدون أن المؤسسات التبشيرية ، سواء أكانت معاهد علمية أو مؤسسات أخرى ، انما هي « مصالح أمريكية » يجب المحافظة عليها . وهم لا ينكرون أن هذه « المصالح » كلها قد نشأت من التبشير وعلى أيدي المبشرين .^(١) »

وحيث إن التعليم هو الوسيلة الكبرى للتربية الموجهة التي تخضع لآراء التربويين ومخططو المناهج فقد أمكن هؤلاء الناس أن يرسوا قواعدهم وأهدافهم الشريرة بما أنشأوا من مؤسسات تعليمية نذكر منها ما يلي :

- ١ - مدرسة عبية في لبنان .
- ٢ - كلية روبرت في استانبول بتركيا .

(١) « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » ، ص ٩٤

- ٣ - الجامعة الأمريكية في بيروت .
- ٤ - الكلية الانجيلية بسوريا .
- ٥ - الجامعة الأمريكية بالقاهرة .
- ٦ - كلية غوردون في الخرطوم بالسودان .
- ٧ - جامعة القديس يوسف في لبنان .
- ٨ - المؤسسات الفرنسية مثل مدرسة عينطورة والمدارس المشابهة في سوريا ولبنان وكذلك الكلية الفرنسية في لاهور بباكستان .

والملاحظ أن معظم هذه المؤسسات عادة ما يلحق بها مطابع خاصة تعنى بطبع ما يتم من الكتابة والبحث عن التراث الاسلامي واللغة العربية على يد المستشرقين الذين يعملون في مثل هذه المؤسسات التعليمية . وكل هذه الدراسات والمطبوعات تخضع لنفوذ وسياسة الدولة التي تمول هذه المعاهد من سياسة أمريكية أو انجليزية أو فرنسية وغيرها من البلدان التي تهتم بالدراسات الاستشراقية^(١) ولم يكتف المستشرقون في تحقيق اهدافهم المختلفة بما ذكر وخصوصا بما أنشأوا من مؤسسات تعليمية وتقديم المنح الدراسية واستقطاب أبناء البلاد الاسلامية للدراسة وبالتالي افسادهم خلقيا وعقائديا ليتمكنوا من توجيههم التوجيه الذي يخدم مصالح اليهود والنصارى . لقد لجأ المستشرقون الى الاشتراك في المجالات العلمية والرسمية في البلاد العربية مثل اشتراك ه . أ . جب ، ولوى ماسيشون ، د . س مرجليوث ، ونيكلسون في المجمع

(١) « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » ، ص ٩٤ - ١١١

اللغوي في مصر وكذلك اشتراك جريفي الايطالي وجوتهيل الكولومبي ، وجويدي الايطالي في المجمع العلمي بدمشق .^(١) ولقد لجأ المستشرقون أيضاً الى تأليف الكتب والمؤلفات الكثيرة وهذا شيء معروف ، وعملوا على اصدار المجلات والدوريات العلمية والثقافية مثل المجلة الآسيوية ، ومجلة العالم الاسلامي ، ومجلة الاسلام ، ومجلة الشرق الاوسط وغيرها كثير مما يصدر في فرنسا وايطاليا ، وأسبانيا ، وروسيا ، والولايات المتحدة والمانيا وغيرها من الدول التي تهتم بالدراسات الاستشرقية . ولقد عمل المستشرقون أيضاً الكثير نحو تحقيق أهدافهم وتنشيط الحركة الاستشرقية فعمد المستشرقون الى اقامة الندوات العلمية والمحاضرات الثقافية والمؤتمرات العالمية لما يعرفوه من قيمة الكلمة المسموعة وتأثيرها في النفوس من هذه المؤتمرات نذكر ما يلي :

أولاً : المؤتمرات التي عقدت في بلاد اسلامية أو شرقية :

- ١ - مؤتمر القاهرة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م
- ٢ - مؤتمر بيروت ١٣٢٩هـ - ١٩١١م
- ٣ - مؤتمر لكنو الهند ١٣٢٩هـ - ١٩١١م
- ٤ - مؤتمر القدس ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م
- ٥ - مؤتمر القدس ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م
- ٦ - المؤتمر العالمي للكنائس في جاكرتا عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

(١) « الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبريالية » ، ص ٥٣ - ٦١

ثانيا : المؤتمرات التي عقدت في بلاد غربية :

- ١ - مؤتمر ادنبرا ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م
- ٢ - مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م
- ٣ - مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م^(١)

وبعد ذلك أصبحت المؤتمرات الاستشرافية تقام في أوروبا أو أمريكا بقصد زيادة الترابط بين فئات المستشرقين وأتباعهم المنتشرة في جميع أنحاء العالم والتي قصدها انشاء محفل استشراقي موحد (كونجرس) ينظم لقاءات دورية مرة كل عام للتباحث في قضاياهم ومناقشة الأهداف التي يسعون الى تحقيقها .

كل هذا الاهتمام بالشرق عامة وبالدين الاسلامي وتراثه خاصة . انما القصد منه هو الاجهاز على هذا الدين الحنيف والانيان على كل من يتبع هذه العقيدة السمحاء ولكن المسلم ينبغي أن يحس بكل الثقة والطمأنينة في قوله سبحانه وتعالى :

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .﴾^(٢)

(١) « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » . ص ٤٧١

(٢) التوبة . الآيات ٣٢ - ٣٣

الفصل الثالث

« غاية خطيرة للاستشراق »

ان هذا الفصل في هذا البحث يعتبر ملحقا مكملًا لأهداف الاستشراق التي تحدثنا عنها فيما سبق ، بل ولقد المحنا الى ذلك خلال الحديث عن الأهداف الاستشراقية . ولكننا أردنا أن نفرّد هذا الفصل بعنوان مستقل لما له من أهمية كبرى يتبينها القارئ من خلال قراءته لهذا الفصل

الواضح مما تقدم أن من أهداف الاستشراق العمل على تربية أعداد كبيرة من أبناء المسلمين الذين ضلوا وأضلوا والقصد من تربية هؤلاء الاشخاص وتوجيههم توجيهًا علمانيًا أو قوميًا هو الاستفادة منهم كمطايا تمكن المستشرقين من تحقيق الغايات الأساسية لحركة الاستشراق داخل البلاد الإسلامية . فما يكتبه هؤلاء الاشخاص وهم من أبناء المسلمين إنما هو يسير على طرق ومناهج المستشرقين في التأليف وبذلك يتسنى للمستشرقين أن يتخذوا من كتابات هؤلاء الأشخاص ذريعة وحجة للاستشهاد بهم فيما يكتبون عن الاسلام ، بل الأكثر من ذلك الاستفادة منهم داخل بلادهم في توجيه السياسة الداخلية في تلك البلاد بما يتفق ورغبات المستعمرين . والملاحظ أن عملاء الاستشراق إنما هم عملاء

الاستعمار في العالم الاسلامي أجمع^(١) وهم جماعة تمت تنشئتها وتربيتها على أيدي المبشرين والمستشرقين تربية موجهة اعتمدت على انكار المقومات التاريخية ، والثقافية ، والحضارية للأمة العربية والاسلامية على السواء . ان ولاء هؤلاء الأشخاص للاستشراق والاستعمار يشكل خطرا كبيرا على المسلمين والعالم الاسلامي أجمع اذ أنهم أثروا في مجرى الأحداث وسياسة العالم وجعلوا المسلمين في قلق . ان خطر هؤلاء يتمثل في مناداتهم الى تقسيم العالم الاسلامي الى شعوب وقوميات ، والمصالحة مع اليهود والاستسلام لكل ما يرد من حضارة الغرب من غث وسمين ، لذلك فان هذه الأمور وغيرها باتت أمرا واقعا في الوقت الراهن لأن الغرب عرف لما لهذه الأفكار من فائدة في تشييت شمل المسلمين وتنازعهم^(٢) ويمكننا هنا الاشارة الى ما قاله أحد المفكرين الاسلاميين عن أتباع المستشرقين :

« ان جمعا غفيرا من المثقفين في بلادنا بوأ هؤلاء القوم (أي المستشرقين) مكانة هم دونها بيقين ووقعوا في شباكهم ففسدت عقائدهم ومثلهم فلا محيص من اماطة اللثام عن وجوههم وابرازهم على حقائقهم العارية . »^(٣)

والواضح من القول السابق أن من أبناء المسلمين العرب من اتخذوا من دون الله أربابا هم الاستشراق والقائمون عليه . ان هؤلاء

(١) « الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبرالية العالمية » ، ص ٧٧

(٢) « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » . ص ١٣٩

(٣) « دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين » . ص ٨

الناس هم ذبول الاستشراق وأتباعه يعملون على محاربة دين الاسلام بشتى الطرق والوسائل لأنهم أولوا تبعيتهم وولائهم لأعداء الله سبحانه وتعالى وغرتهم الأمانى . لقد باعوا ضمائرهم فكانوا مضرة على الاسلام والمسلمين وقد أخبرنا المصطفى الكريم ﷺ عن هؤلاء الناس وما يجلبونه على الاسلام والأمة الاسلامية من بلاء وفتنة :

« عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم فيه دخن قلت وما دخنه قال : قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت فما تأمرني ان أدركنى ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم ، قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » (١)

فقوله ﷺ هم من جلدتنا اشارة الى أن من أبناء المسلمين من ضعاف النفوس ممن غرتهم الأمانى خاضوا فيما ليس لهم به علم فأساءوا الى أنفسهم وما أحسنوا الى غيرهم .

ان هؤلاء الذين ساعدوا الاستشراق على محاربة الاسلام هم

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي

اما من من يتنمون الى الاسلام اسما وهم بعيدون كل البعد عن دين الحق لأن الله سبحانه وتعالى طبع على قلوبهم وجعل على ابصارهم غشاوة . وأما هم من أصل عربي على ملة اليهود والنصارى من العرب اليهود أو العرب النصارى والذين منهم من دخل الاسلام تخلصا من الجزية التي كانت تجبي من أهل الكتاب ولكن ظل في قلوبهم الحقد والكراهة للاسلام أمثال يوحنا الدمشقي الذي يشير اليه المستشرق الانجليزي (غيوم) باسمه العربي منصور وأنه من أحسن من كتب عن الاسلام . مع العلم أن يوحنا هذا دس على الاسلام في كتابه (حياة محمد) وقرر أن الاسلام إنما هو فرقة مسيحية مارقة وضالة عن الحق^(١) ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين يتنمون الى الاسلام اسما احمد خان من مسلمي الهند وهو من الذين افتتنوا بالمدينة الغربية وعمل على اقامة حركة تقدمية (حسب زعمه) في الاسلام وكان مشرفا على احدى المؤسسات التعليمية التي أسماها باسم (الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية)^(٢) وفي العالم العربي في العصر الحديث لنا مثال كبير في كتابات طه حسين خصوصا في الأدب الجاهلي ومستقبل الثقافة في مصر كما سنعرض الى ذلك فيما بعد . ويعتبر لويس عوض وهو عربي مسيحي مصري ممن ترغم الدعوة الى الفرعونية واهياء التاريخ الفرعوني على حساب العربية والاسلام فليب حتي اللبناني الذي كان يعمل بجامعة برنستون بقسم الدراسات الشرقية بأمريكا وهو يرى أن الفتوحات الاسلامية حركة

(١) «أضواء على الاستشراق» . ص ٢٠

(٢) نفسه . ص ٢٩

قومية نجاحها يعود مردوده الى القومية العربية لا الى الدعوة الاسلامية .^(١) وهناك عزيز عطيه سوريال وهو مصري مسيحي عمل أستاذا بجامعة الاسكندرية وهو يعمل الآن في إحدى الجامعات الأمريكية وهو معروف بكتاباته التاريخية وخصوصا عن تاريخ الحروب الصليبية والتي ضمنها الكثير من التحريف والتغيير لحقائق الاسلام وحقائق التاريخ وجاءت كتاباته مليئة بالحق والكره للاسلام والمسلمين^(٢) وهناك الكثير من الأسماء التي يمكننا سرد بعضها أمثال : جورج حوراني ، البرت حوراني ، شارلز عيسوي ، يحيى أرحجاني ، نبيه فارس ، ادوارد جرجي . مناحم منصور ، أنور شين شحاته ، كامل سعيد ، سامي حنا^(٣) جورج نقاش ، كسروان اللبكي^(٤) جرجي زيدان ، ونجيب العقيقي . وقبل أن نعطي تحليلا موجزا عن مدى تأثير هؤلاء الأشخاص ومساندتهم للاستشراق يحسن بنا أن نعطي تقسيما عاما عن ذيل الاستشراق وأتباعه من هؤلاء الأشخاص ويمكن تقسيم هؤلاء الاتباع الى قسمين :

١ - النوع الأول : حكام وأصحاب سلطة أو مسئوليات كبرى تولوا أمر المسلمين فهم يجبرونهم على ترك الاسلام أو كله ويعملون على محاربة المسلمين في بلاد الاسلام حرب العدو لعدوه ، بل

(١) المصدر السابق . ص ٣٢ - ٣٥

(٢) « الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبريالية العالمية » . ص ٧٧

(٣) أنظر :

A critica Analysis of Islamic Studies at North American Universities.

(٤) « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » . ص ٢٦

العمل على انكار السنة النبوية وبعض أركان الاسلام من حج وغيره فهؤلاء القوم يمكن معرفتهم بما لهم من اتجاهات سياسية وعلمانية ومثل هؤلاء الحكام يخدمون مصالح الغرب ومصالح المستشرقين وأعاونهم من المستعمرين الذين يسعون الى دمار الأمة الاسلامية وهلاكها فانكار السنة النبوية هو منطق المستشرقين وهدف من أهدافهم الكبرى الذي به ينتهون الى انكار نبوة الرسول ﷺ كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم وخصوصا ما جاء في كتابات المستشرق جولد سيهر والذي وصفه الاستاذ الغزالي بقوله :

« ان هذا المستشرق (أي جولد سيهر) من أعمدة المستشرقين ودهاتهم ولا شك أنه قرأ كثيرا من الأصول والمصنفات الاسلامية ، ولكنه منذ قرأ ، وكتب ، لم يحمل بين جنبيه الا فؤادا مترعا بتكذيب الاسلام ، فهو يدس اصبعه في كل شيء ليتخذ من أي شيء دليلا على أن محمدا كاذب وقرآنه مفتعل ، وسنته مختلقة ، والاسلام كله منذ جاء الى أن بلغنا مجموعة مفتريات » (١)

ان أمثال هؤلاء الناس من الذين ينكرون السنة ويحاربون المسلمين انما هم أنصار للمستشرقين والاستشراق بصورة غير مباشرة لأنهم بشهوة التسلط ، وبحكم تجاهلهم لحقيقة الاسلام يخدمون نفس الغرض الذي يسعى اليه المستشرقون والمستعمرون على السواء فمن ينكر بعض أركان الاسلام وتعاليمه ومن يعمل على الطعن في سنة المصطفى ﷺ انما يعمل ذلك خوفا من سلطانته وان من

(١) « أضواء على الاستشراق » ، ص ٢٠

ينكر السنة انما مصدره الشعور بالنقص والخذلان مما يدعوه الى
التعالى على دين الله سبحانه وتعالى وعلى شريعته لتظهر نفسه الدينثة
فوق الحق ولكن الحق يظهر أبلج وان طال الأمد . وأعداء الاسلام
يعرفون أمثال هؤلاء الناس ولكن لا ينكرون عليهم تسلطهم
وتكبرهم على الدين الاسلامي بل يستغلون أمثال هؤلاء الناس
ويوجهونهم ويتقبلون ما يتظاهرون به من توجيه الاساءات وعبارات
السباب للدول الكبرى وسياساتها فانه ما دام الهدف الأكبر الذي
يسعى اليه الاستشراق والاستعمار يمكن تحقيقه فلا بأس مع ما يلحق
هذه الدول الكبرى من الاهانات والاساءات المتوالية ذلك أن
المستشرقين يعلمون بأن ما يعمله أمثال هؤلاء من العوامل المساعدة
لتحقيق الأهداف الاستشرافية والقمينة بالقضاء على الاسلام
بصورة تلقائية ولكن هيئات هيئات .

٢ - النوع الثاني : وهذا النوع من أتباع المستشرقين هو الذي
يهمنا في هذه الدراسة وهم الذين سماهم الدكتور على جريشة
« تلاميذ المستشرقين » اذ يقول في هذا الشأن :

« وتبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها
المستشرقون على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الاسلامي .
وقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الأتباع
لترويج مفترياتهم على الاسلام وافتعال معارك حول عقائده وآدابه
ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها ، وترسيخها في
الأذهان وتوسيع دائرة الانتفاع بها .

ولقد كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير
للمناهج المستشرقين . ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم
وكثيرا ما يقول : « ان هذه الحقيقة أو تلك في تاريخ المسلمين أو
فكرهم مما لا يرضى بها الاستشراق »^(١) ان هذا النوع من الأنصار
أو الأتباع من الذين تلمذوا على المستشرقين ودرسوا مناهجهم
المعتمدة على التحليل النفسى والتفسير المادي للأمور هم من
أخطر الوسائل التى تدهم الاسلام والمسلمين اذ تتمثل
خطورة هؤلاء الأشخاص من ذبول الاستشراق وأتباعه فيما ينشر
لهم من كتب ومطبوعات أصبحت تستخدم من قبل الناس
وأنها مراجع علمية متسمة بالموضوعية والأسلوب العلمى الممتاز
مثال ذلك كتابات العرب أتباع المستشرقين في دائرة معارف
الاسلام ، تاريخ كمبرج ، والدوريات والمجلات التى تعنى
بالدراسات الاستشراقية ، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم . وخطورة
هذه الكتب والمراجع تكمن في تأثير الغالبية العظمى من أبناء
المسلمين المبتعثين للدراسة العليا في الغرب بها فهم يعتمدون عليها في
كتاباتهم دون أيما دراية بحقيقة هذه الكتابات ومدى قيمتها العلمية
ولا يعرف ذلك الا من هداه الله . وبذلك يكون المسلم قد أخذ
أسس حضارته وتشريعات دينه من مصادر محرفة غير سليمة بل
وملوثة تلوث الفكر الاسلامي بما ليس فيه فأمثال هؤلاء المبتعثين وان
لم يكونوا أصحاب صلة مباشرة بالاستشراق فانهم يبدون الولاء

(١) « أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي » . ص ٢٢ - ٢٣

الكامل للغرب والحضارة الغربية فهم بصورة غير مباشرة أداة افساد وتخريب ، ذلك لأن التأثير بأسلوب الحياة ومناهج التفكير في الغرب يأخذ مكانه في نفس كل شخص يجهل حقيقة دين الاسلام وحقيقة الحضارة الاسلامية وكل منهم يتأثر بنوع الحياة التي عاشها في الغرب .^(١) فمن تعلم في فرنسا يرى القدوة كل القدوة في النظام الفرنسي ، ومن درس في بريطانيا فالنظام البريطاني بالنسبة له هو المثل الأعلى الذي يجب أن يحتذى وكذا الحال لمن تعلم في الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا . وهؤلاء الأشخاص كل منهم يحاول جاهدا في أن تطبق أنظمة تلك البلاد بخيرها وشرها في بلاد المسلمين ولو كان ذلك على حساب الاسلام وتعاليمه . ان هؤلاء الأشخاص عاشوا في الغرب حياة راغدة خالية من المشاكل فظنوا أن القسوة التي يجدها الانسان في حياته داخل بلده انما مردها النظام الاسلامي ، لذا يرى أنه كان الأولى استيراد الأنظمة الغربية لتحل محل الاسلام ، لكن هؤلاء الأشخاص نسوا أن العلة في المسلمين وأن الدواء هو الاسلام ، ان العلة في المسلمين الذين فشلوا في تطبيق تعاليم الاسلام وفي مقدمتهم أولئك الذين يريدون استيراد الأنظمة الغربية وتطبيقها في بلاد الاسلام ، لأنهم لا يدركون أن الغرب وأنظمتها هي التي تسببت في تشتيت جمع الأمة الاسلامية وايجاد الفارقة بينها : « لقد تعثر الشرق في حياته السياسية والقومية لأن المدارس الأجنبية المختلفة قد فرقت أبناء الوطن الواحد طرائق مختلفة فشلت أهدافهم وباعدت بين الطرق

(١) « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » . ص ٢٠٦

الى تلك الأهداف . ان التعليم قوة توجيهية عظيمة ، فلا يجوز أن تكون في أيد أجنبية تلعب بها وتستغلها لمآرب وأغراض أجنبية . ان التعليم الوطنى الموحد ، ولو كان ناقصا بعض النقص أفضل من التعليم الأجنبى المتنافر ، ولو كان كاملا كل الكمال ^(١) .

مرة أخرى نقول ان تأثير اتباع المستشرقين ممن لهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بالاستشراق يكمن في اتجاهاتهم الفكرية والعلمانية . والمستشرقون يعلمون ان كتابات هؤلاء الأتباع والذبول تفيدهم في الاستشهاد على الاسلام والمسلمين واعتبار كتابات أنصارهم هؤلاء حججا وبراهين تعيينهم في التدليل على ما يريدون اثباته عن الاسلام فيما يكتبون عن القرآن والسنة ونبوة الرسول ﷺ وما الى ذلك من أمور مما أشرنا اليه فيما سبق ، لأن المستشرقين يعتبرون كتابات هؤلاء الاتباع كتابات مصدرها أبناء العرب والمسلمين . ولكن فضل الله سبحانه وتعالى كان على المسلمين كبيرا ، فلقد بين لنا الرسول ﷺ أن أمثال هؤلاء « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » لذا فهم من أشرار المسلمين ان كانوا ينتمون الى الاسلام ، وهم من أشد الناس سوء وعداوة ان كانوا يهودا أو نصارى من أصل عربي ، فلا خير في أي الفريقين لأن الله سبحانه وتعالى أوضح لنا حقيقة هؤلاء الموالين والأتباع في آيات عظيمة تدخل الطمأنينة على النفس قال المولى عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

(١) المصدر السابق . ص ١١٢

المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا»^(١)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾^(٢)

وعلى سبيل المثال فهذا طه حسين وأفكاره التي ضمنها كتابه مستقبل الثقافة في مصر ، والذي يرى فيه أن تكون مصر فرعونية ثقافة ، وعقيدة ومنهجاً يريد مصر بالآ تكون عربية مسلمة ، وعلى مصر أن تكون ثقافتها أوربية خالصة .^(٣) انه يرى أن تأثر مصر بالاسلام والحضارة الاسلامية شيء غير مرغوب فيه لأنه يرى أن الاسلام دين قادم من صحراء العرب وهو خال من أي عنصر حضاري يميزه عن حضارات الاغريق واليونان . وقد تصدى لمثل هذه الأفكار وغيرها الشهيد الاستاذ سيد قطب فبين كيف أن طه حسين كان له الكثير من المزاعم الخيالية ، والآراء غير الواقعية ، وما يلي به من سحر حضارة الغرب وما فيها من بلواء^(٤) وقد كشف طه حسين اللثام بأقواله تلك عن محض تبعيته للغرب وطلب أن تكون ثقافة المستقبل في مصر ثقافة أوربية خالصة متوجة بالحضارة

(١) النساء ، الآية ١٤٤

(٢) المائدة ، الآية ٥١

(٣) طه حسين ، « مستقبل الثقافة في مصر » ، المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين ج

٩ ، ص ٤٠ - ٤١

(٤) سيد قطب « نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر » ص ١٠ - ١٩ - ٧٨

الفرعونية (لا عربية ولا اسلامية) بل ويأمل أن تكون كل شعوب الشرق كذلك حيث انه يريد أن يكون الاتجاه العام لكل هذه الشعوب اتجاها أوربيا خالصا وأن يكون تأثير المسلمين بأوروبا كتأثير اليابان بالغرب دون تردد والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ أفجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كيف تحكمون ﴾^(١)

ان طه حسين يبنى دعواه الباطلة هذه على أنه لا توجد وحدة في الشرق المسلم وأن الاسلام واللغة العربية لا يبينان وحدة بين الناس ، والاسلام في نظره دين قادم من الصحراء خال من الحضارة مختلط بالوثنية والعقلية المتخلفة ، والاسلام بمثابة خليط مركب لا يفي بحاجة الناس^(٢) ولا غرابة في قول طه حسين هذا فقد سبقه الى ذلك جولد سيهر ، وغيوم وغيرهما من المستشرقين الذين قالوا بأن الاسلام في مجموع تشريعاته خليط مركب من القوانين الرومانية واليونانية كما ذكرنا آنفا . هكذا كانت أفكار طه حسين والواضح أنه لم تكن له أصالة الابداع والاسبقية فيما قال ، انما أقواله هذه أملت عليه بما تأثر به من آراء المستشرقين أمثال مرغليوث الانجليزي . ومن أمثلة آراء طه حسين الباطلة ما أورده في كتابه في الشعر الجاهلي الذي يقول فيه بأن قصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومجيئها الى مكة واستيطان ذريته بها انما هي آيات مفتعلة .^(٣) وأمثال هذه الأمور كثيرة عند طه حسين .

(١) القلم . الآيات ٣٥ - ٣٦

(٢) « مستقبل الثقافة في مصر » ص ٢٥

(٣) « دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين » . ص ٤٠

على أي حال فاني لا أعرف كيف سمح طه حسين وأمثاله من ذبول الاستشراق أن يكونوا تابعين لغيرهم ؟ أما علم هؤلاء أنهم مستبعدون مسخرون للأعداء وأنهم في غربة دائمة ، اذ أن المستشرقين يعلمون أن أنصارهم هؤلاء ليسوا من جنس الرجل الأبيض وليسوا من النسل الالندوأوري وأنهم من الشرق وان كانوا يهودا أو نصارى فهم من أصل عربي لذا فهم في نظر هؤلاء السادة المستشرقين غرباء عنهم ودورهم هو دور المسخر الذي يؤدي عمله لقاء ما يطلب منه . وأمثال هؤلاء من أتباع الاستشراق وذبوله بالنسبة لنا نحن المسلمين غرباء لأنهم أصحاب دسيسة ، وأصحاب خيانة فاننا لا نأمنهم ذلك أن النزعة الى الغرب بأي صورة من الصور تعنى اغترابا واستلابا . ان الفرد الذي يسلم نفسه للغرب يصير غير نفسه التي يعرفها فتزدوج شخصيته ووحده النفسية والروحية والحضارية التي كان عليها قبل أن يصبح تابعا للمستشرقين وخادما لهم ، وبهذا فانه يشعر بغربة تامة ، خصوصا اذا أصبح غير مرغوب فيه من المسخرين له من سادته المستشرقين . فاذا ما أراد هذا الفرد أن ينهي غربته مع الغرب فانه يبدأ غربة جديدة مع أبناء جلدته لأنه أصبح لديهم الشخص المتنكر لأنه نسيهم ، فنسوه . ان أمثال هؤلاء الأفراد عندما يعرفون الحقيقة تصبح حالهم سوء ودمارا وخيبة وحسرة والى هذا يشير سبحانه وتعالى في قوله :

﴿ اذ تبرا الذين أتبعوا من الذين أتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراوا

منا كذلك يرهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار» (١)

نعم لا فائدة من اتباع رؤوس الشر وأتباع الهوى أعداء الله ورسوله ، لا فائدة من اتباع معاول الهدم والدمار فتجارهم خاسرة غير رابحة وهو ما يراه كل مسلم مستبصر عن حقيقة الغرب وما آل إليه كما تصفه العبارة التالية :

« ان السوس لا ينخر السياسة الأوروبية فحسب ، انما ينخر كذلك الفكر الأوربي والروح الأوربية والخلق الأوربي . ان أوروبا لم تعد الينا نحن هذه الشعوب (المتخلفة) ، (الجاهلة) أكثر من جيفة متمدنة » (٢)

ان الافتتان بالغرب و المستشرقين شيء لا أساس له من النفع والقيمة لأنه مجرد فرنجة وتبعية فتن بها بعض « متفرنجي الشبيبة الاسلامية » (٣) ان هؤلاء الأتباع ذبول الاستشراق هم ممن سمحت لهم عقولهم الضالة السير في ركاب الهوى والانحراف فسمحوا بذلك لأنفسهم أن يكونوا في حوزة الصهيونية ، والمسيحية ، والماركسية وقدموا لهم الولاء الكامل والمحبة التامة وظنوا أنهم أصحاب قوة ولم يعلموا أن القوة لله اذ يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله

(١) البقرة ، الآيات ١٦٦ - ١٦٧

(٢) هشام شرابي ، « المثقفون العرب والغرب » ، ص ١٣٧

(٣) عبد الحليم محمود « أوروبا والاسلام » ، ص ١٤٦ - ١٤٧

والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن
القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب»^(١)

لقد استطاع النفوذ الاستعماري متمثلا في الاستشراق أن يحتوي
عددا كبيرا من أبناء المسلمين لتحقيق الأهداف الاستشراقية عن
طريق الارساليات التعليمية في الجامعات الغربية وخصوصا في
معاهد الدراسات الشرقية وكل هذه المعاهد لا تفتأ تؤثر في الطلاب
الدارسين باتجاهاتها المختلفة ، كالتى تعتمد على التفسير المادي
للحقائق ، أو التى تعتمد على النظريات اللبرالية أو الماركسية
ويحتويها جميعا النفوذ التلمودي اليهودي الصهيوني الذي استطاع في
السنوات السبعين الأخيرة أن يحتوي الفكر الغربي في أوروبا وأمريكا
وسيطر عليه واستطاع أن يوجهه الى تنفيذ أهداف برتوكولات
صهيون ابتداء من الثورة الفرنسية الى الثورة الروسية فاسقاط
الخلافة العثمانية فاحتلال فلسطين والاستيلاء على بيت المقدس
وهكذا الى تحقيق الحلم المزعوم في الدولة اليهودية وأناي لهم
ذلك^(٢) فماذا يا ترى يكون مردود هؤلاء الأتباع ؟ الا الوبال
والدمار ؟ وان الغرب والمستشرقين ليعلمون من أن هؤلاء الأتباع
ليسوا الا أداة لوجود التنافر الفكري والعقائدي بين هؤلاء الناس
ذبول الاستشراق وما يدين به أبناء المسلمين من دين الله الخالص
دين الحق ، وحين تكون هناك فرقة من أبناء المسلمين تدافع عن
الدين الاسلامي الحنيف كما جاء من رب العالمين وفرقة أخرى تدافع

(١) البقرة ، الآية ١٦٥ .

(٢) « شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي » : ص ٣ - ٤

عن آراء المستشرقين وتكذيب حقيقة الدين وما جاء به المصطفى
الأمين صلوات الله وسلامه عليه ، فان هذا يقود الأمة الاسلامية
الى الفتن والثورات والتي يسعى الاستشراق جاهدا لتأجيجها .

« ان الاتحاد والانحلال في هذه الأيام يشتعل ويسري سريان
النار في يابس الخطب ، ورأيت دعاة الاتحاد يستفحل أمرهم في
كل مكان ورأيت الناس مشغولين بالجدل والنقاش حول ما يثيرون
من موضوعات يسترون مآربهم الهدامة من وراءها تحت أسماء خلافة
براقة : كالتنهضة ، والتحرر والتطور ، ومتابعة ركب الحياة .. ولا
يزال أصحاب الباطل ماضين في اتخاذ هذا الاسلوب نفسه جيلا
بعد جيل ، يزحفون ويزحفون حتى يسدوا على الناس كل سبيل
للحق ، او يفتح الله بابا من أبواب رحمته فيبعث عليهم من ينكل
بهم ويقطع دابر ما يثيرونه من فتن »^(١)

لذا فعلى المسلم النابه ألا يغتر بهذه الشعارات وهذه الأسماء ،
فليس هناك اسم في الدنيا والآخرة أحسن من اسم الاسلام وهو
الخير كل الخير فالملوئ عز وجل يقول في محكم التنزيل :

﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من
المسلمين ﴾^(٢)

لقد جعل هؤلاء الأشخاص من أتباع المستشرقين الغرب قبلتهم
وطريقهم ومنهج حياتهم واتخذوا عقيدة المادية التي أصبح الغرب

(١) « حصوننا مهددة من داخلها » ، ص ١٠

(٢) فصلت ، الآية ٣٣

نفسه يصرخ للخلاص منها ومن سلبياتها وقيمها الهابطة التي جعلت الانسان جسدا بلا روح ومادة بلا خلق وأبدلت الأمم دار البوار . ومع هذا لا يزال الكثير من أتباع المستشرقين والمفتونين بالغرب يعتقدون في صلاح الأنظمة الغربية وينادون بتطبيقها في بلاد الاسلام . أما آن هؤلاء أن يعرفوا هذه الحقيقة والتي يقال عنها :

« لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض لأن حضارة الرجل الأبيض قد استنفدت أغراضها المحددة القريبة ، ولم يعد لديها ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين .. النمو والترقي للعنصر الانساني وللقيم الانسانية وللحياة الانسانية ، لقد أصيبت بالعقم - أو كادت - بعدما ولدته في (الماچنا كارتا) الانجليزية . ومبادئ الثورة الفرنسية . ومبادئ الحرية الفردية التي سادت في ما يسمونه « التجربة الأمريكية »^(١) لا زال أتباع الاستشراق يحملون ويؤمنون في أن تكون لهم صولة وجولة في القضاء على الدين الاسلامي لتتلاقى آراءهم وأفكارهم وسياساتهم اذا ما صار اليهم الأمر مع أفكار وسياسات الغرب ، ولكن هيهات فهم في غفلة وضلال لا يعلمون أن الغرب كان وانتهى وصدق الله العظيم اذ يقول :

﴿ الرَّتْلِك آيَات الْكِتَاب وَقُرْآن مَبِين . رِبْمَا يُوَدِّ الدِّينَ كَفَرُوا لَوْ

(١) سيد قطب ، « المستقبل لهذا الدين » ، ص ٥٦

كانوا مسلمين . ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون . ﴿١﴾

ولا يهمننا بحال من الأحوال أمر هذه الشرذمة القليلة وانحرافهم عن جادة الحق وطريق الصواب ويكفيها في ذلك قول المولى جلا وعلا عنهم :

﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى .﴾ ﴿٢﴾

وعموما فان قال قائل بأن الصهيونية وراء الاستشراق وقد انتهينا الى أن المستشرقين اما يهود أو نصارى ، أو لا دينيين فإذا يزيد الأمر أو ينقصه اذا قلنا أن الصهاينة وحدهم وراء ذلك . لذلك علينا أن نعلم أن الجميع شر ووبال وأعداء الله لا فرق بينهم فالكفر ملة واحدة لا علاقة ولا صداقة بين الالحاد والتوحيد ، فلا علاقة بين الموحّد الموثق والكافر الملحد . ولنعلم أن حقّد اليهود العرب والنصارى العرب وأمثالهم أكثر خطرا وأشد سوء على الاسلام والمسلمين لأنهم يعيشون في بلاد اسلامية ويحسون أنهم من الأقليات وهذا ليس ذنب البلاد التي يكثر فيها المسلمون ولا ذنب الدين الاسلامي ولكن الذنب هو معرفتهم الحق وأعراضهم عنه ، الذنب هو كفرهم وشركهم فلا يمكن أن تحول دولة مسلمة الى دولة

(١) الحجر ، الآيات ١ - ٣

(٢) النجم ، الآيات ٢٩ - ٣٠

يهودية أو دولة نصرانية بسبب الأقليات وتترك دين الله دين الاسلام
الدين الخالد فالدين عند الله هو الاسلام . لأن المسألة مسألة حق
وباطل وفي هذا يشير القرآن الكريم الى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن
هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم
مالك من الله من ولي ولا نصير﴾^(١)

(١) البقرة ، الآية ١٢٠

الفصل الرابع

« طبقات المستشرقين وأنواعهم »

تحدثنا فيما تقدم عن تعريف الاستشراق وأنهينا في ذلك الى القول بأن الاستشراق أصبح يستخدم كمصطلح علمي داخل الكثير من كتب العلم وفنونه في كتابات الكثير من الغربيين في مجالات التجارة والصناعة ، والسياسة ، وكتب التاريخ ، وكتب الأدب مما ساعد على ازدهار وتقدم حركة الاستشراق حتى أصبح الاستشراق فنا له أصوله وأهدافه ورجاله أو لم يعد الغرب يستغنى عنه في محاربة الاسلام والمسلمين وبهذا فقد تنوعت كتابات المستشرقين وتعددت في الحديث عن الشرق عموما وعن الدين الاسلامي واللغة العربية وآدابها خصوصا وتنوع هذا الانتاج بين المستشرقين دفع الباحثين والمهتمين بالدراسات الاستشراقية أن يقسموا المستشرقين الى أنواع وطبقات كل حسب اتجاهه وتخصصه ونحن هنا نحاول أن نتناول هذه القضية بشئ من البحث الموجز لما لهذا الأمر من صلة قوية بمجال هذا البحث .

ان تقسيم المستشرقين وطبقاتهم يعتمد في تصنيفه عادة إما على الناحية الزمنية منذ قيام حركة الاستشراق حتى اليوم ولما من حيث الاتجاه العام في كتاباتهم ونظرياتهم نحو الاسلام والمسلمين

والحضارة الاسلامية .^(١) وتقسيم المستشرقين وأنواعهم من الناحية الزمنية قد لا يهمننا فكريا بقدر ما يهمن تاريخيا . لهذا فان الذي يهمننا في هذا المقام هو الحديث عن أنواع المستشرقين من حيث اتجاههم العام نحو الاسلام ذلك أن ظهور المستشرقين في زمن دون آخر أو ظهورهم من زمن الى زمن لا يغير اتجاههم نحو الاسلام وان تغيرت مناهجهم وأساليبهم فالكفر ملة واحدة .

والملاحظ أن كثيرا من الذين كتبوا عن موضوع الاستشراق يذهبون الى تصنيف المستشرقين الى نوعين رئيسيين تتخللها بعض التقسيمات الجانبية . النوع الأول هم الفئة التي درست الاسلام دراسة لا شك هدفها النيل من المسلمين والحضارة الاسلامية وتقذح فيها عيانا بيانا وذلك ما نجده في كتابات جولد سيهر ، ومرغليوت ، وشاخت ، وغيوم ، ووات وغيرهم كثير وهذه الطبقة عرفت بتحاملها على الاسلام والمسلمين . والنوع الثاني من المستشرقين هم الفئة التي عادة ما توصف باعتدالها وانصافها في اتجاهها نحو الاسلام والمسلمين والحضارة الاسلامية . وسوف نعطي هنا مثالين لطريقة تصنيف المستشرقين لدى معظم من كتبوا في هذا الشأن وذلك بقصد الموازنة بين ما يروونه هم وبين وجهة نظر الباحث في هذا المقام .

يقول أحد الكتاب « ان المستشرقين ينقسمون الى قسمين :
(١) - متعصبون وهؤلاء ليست لدراساتهم قيمة علمية صحيحة .

(١) مالك بن نبي « انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث » ص ٧

(٢) - منصفون وهم أيضا ينقسمون الى قسمين :
(أ) - جماعة اشتهروا بالانصاف في الأوساط العلمية وأظهروا أنهم أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها وأنهم متحررون تماما في بحوثهم من أثر العواطف الدينية فكتبوا عن الاسلام وأظهروه في ثوب نظيف على جسد وسخ فهم من منافقي المستشرقين .

(ب) - جماعة لهم أهداف علمية خالصة لا يقصد منها الا البحث والتحصيل ودراسة التراث العربي والاسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم وهذا الصنف قليل عدده جدا .^(١)

ويقول كاتب آخر « ويمكن تصنيف المستشرقين - في ضوء دوافعهم المذكورة - الى الطائفتين التاليتين :

(١) - الطائفة الأولى وهم المخلصون من الباحثين عن المعرفة وهؤلاء مها تنوعت أجناسهم وأزمانهم فهم فئة واحدة ، يقال عنهم جميعا أنهم طلاب الحقيقة سواء في ميدان العلم أو في ميدان العقيدة الدينية .

(٢) - الطائفة الثانية : وهي تشمل أولئك الذين ينعدم أو يندر الاخلاص في مؤلفاتهم وهم أنواع .

(أ) - فئة المتعصبين للغرب وطينا أو جنسيا وهذه الفئة من ذوي النيات السيئة من كتاب الغرب ومعظمهم من الأوروبيين الذين

(١) « موقف المسلم من الدراسات الاستشراقية » ، ص ٢٩ - ٣٠

يدينون بالمذاهب الفاشستية أو النازية في السياسة والاجتماع .
(ب) - فئة الماديين الملحدین وهؤلاء يدعون الى هدم المجتمعات القائمة ويقولون بأن الأديان كانت عقبة تعترض ما يسمونه بالاصلاح الاجتماعي الذي ينادي بالغاء (الروحانيات) ويستبدل بها (الماديات) .

(ج) - فئة المحترفين من سيطرة التبشير وهؤلاء يتخذون من تشويه الاسلام صناعة يستدرون بها الرزق ويتوسلون بها الى الجاه وسمعة الصلاح والتقوى بين المتعصبين والجهلاء في البلاد الغربية أوروبا وأمريكا .

(د) - فئة الصهاينة وهذه أخطر الفئات جميعا لما تملكه من وسائل الدعاية والاعلام التي قد لا تنبأ لغيرها من الفئات .

(هـ) - فئة المستعمرین وهم يمثلون المغرضين في خدمة الاستعمار وهي قوة تضارع الدعاية الصهيونية ان لم تزد عليها في بعض الأحيان اذ هي قوة الدولة بما لديها من وسائل تسخرها للسياسة والتبشير معا .^(١)

من العرض السابق لآراء الكاتبين في تقسيمهما لأنواع المستشرقين يتضح أنهما يذهبان الى أن هناك نوعين رئيسيين للمستشرقين ، طبقة المادحين للحضارة الاسلامية واسهاماتها وهم منصفون في ذلك . لما لهم من اتجاهات علمية خالصة في أبحاثهم . وطبقة المتقدين لحقيقة الاسلام والمسلمين والمشوهين لسمعة

(١) « أضواء على الاستشراق » ، ص ٤٨ - ٥٢

الحضارة الاسلامية . وهذا التقسيم لأنواع المستشرقين لم يأت
اجتهادا من هذين الكاتبين أو غيرهما من الكتاب الذين بحثوا في هذا
المجال ولكن في نظري أن الأمر أكثر من هذا ، وهو أن المستشرقين
أنفسهم لجأوا الى سياسة معينة بقصد المواربة والتضليل والخداع
ليجعلوا المسلمين يأنسون ويركنون الى أن هناك من المستشرقين من
أنصف الاسلام ومدح الحضارة الاسلامية وأن هذه الفئة تتسم في
عملها بالموضوعية ، وصدق المنهج العلمي وفي هذا ما يسهل في
رواج البضاعة الاستشراقية وعلى مر الزمان يختلط الأمر فلا يعرف
المنصف من غيره . ونذكر هنا مثلا أن الدكتور مصطفى السباعي
رحمه الله تعالى زار عددا كبيرا من المستشرقين في جولة له في أوروبا
عام ١٩٥٦ وكان ممن التقى بهم البروفسور (روبسون) في جامعة
مانشستر وهو يعمل حاليا في جامعة جلاسجو . وفي لقاءه مع هذا
المستشرق حاول الدكتور السباعي أن يظهر أن الدراسات
الاستشراقية فيها الكثير من التحامل والبعد عن الحقيقة وتعرض
لآراء جولد سيهر وما فيها من أخطاء علمية وتاريخية وكان ما يلي
خلاصة ما دار من حوار عندما قال روبسون للدكتور السباعي :

« لا شك أن المستشرقين في هذا العصر أكثر اطلاعا على
المصادر الاسلامية من جولد سيهر نظرا لما طبع ونشر وعرف من
مؤلفات اسلامية كانت غير معلومة في عصر جولد سيهر ، فقلت
له : أرجو أن تكون أبحاثكم - المستشرقين - في هذا العصر أقرب
الى الحق والانصاف من جولد سيهر ومرجليوب ، وأمثالها . فقال

أرجو ذلك . » (١)

وفي ليدن بهولندا اجتمع الدكتور السباعي بالمستشرق الألماني اليهودي (شاخت) وتحدث عن جولد سيهر وهو أستاذ لشااخت في منهاجه ويشير الدكتور السباعي بقوله :

« وباحثه طويلا (أي شاخت) في أخطاء جولد سيهر وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا ، فأنكر ذلك أول الأمر ، فضربت له مثلا واحدا مما كتبه جولد سيهر في تاريخ (السنة) فاستغرب ذلك ، ثم راجع كتاب جولد سيهر - وكنا نجلس في مكتبته الخاصة - فقال معك الحق ان جولد سيهر أخطأ هنا ، قلت له هل هو مجرد خطأ ؟ فاحتد وقال : لماذا تسيئون به الظن . فانتقلت الى بحث تحليله لموقف الزهري من عبدالمملك بن مروان ، وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي زعم جولد سيهر . وبعد مناقشة في هذا الموضوع قال : وهذا خطأ أيضاً من جولد سيهر ألا يخطئ العلماء ؟ قلت له : ان جولد سيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الاسلامي على وقائع التاريخ نفسه ، فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري ؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى ارضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير ، مع أن الزهري لم يلق عبدالمملك الا بعد سنوات من مقتل ابن الزبير ؟ وهنا اصفر وجه شاخت وأخذ يفرك يدا بيد وبدأ عليه الغيظ والاضطراب ،

(١) مصطفى السباعي ، « الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم » ، ص ٥٤

فأنهيت الحديث معه بأن قلت له : لقد كان مثل هذه الأخطاء كما تسميها ، تشتهر في القرن الماضي ، ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على أنها حقائق علمية ^(١)

هذان مثالان لأنماط المستشرقين في الدفاع عن آرائهم فكان رد روبسون وشاخت عن أخطاء جولد سيهر رد من عفا عن جولد سيهر وأن المسألة لا تعدو مجرد خطأ وهذا مسلم به اذ أن العالم يمكن أن يخطئ . والملاحظ أن روبسون يقال عنه أنه من المنصفين فأين الموضوعية وقول الحق في جوابه ؟ من هذا يمكننا أن نقول بأن معظم من كتبوا عن الاستشراق قد خدعوا بسياسة الاستشراق فذهبوا الى تقسيم المستشرقين الى نوع منصف وآخر متعصب . ولو أردنا أن نجاري أمثال هؤلاء الكتاب في آرائهم حول تقسيم المستشرقين بموضوعية المنهج العلمي لوجدنا أن معظم هؤلاء المستشرقين من فئة المنصفين انما تتجه كتاباتهم الى حضارات الأمم الشرقية بصفة عامة أو أنهم يتحدثوا عن اللغة العربية والأدب العربي أو أنهم يهتمون بوضع الفهارس وقوائم المراجع للمؤلفات العربية أي أن أعمالهم ليست ذات صلة مباشرة بالنواحي العقائدية المتصلة بكتاب الله العزيز وسنة نبيه ﷺ . وأما كون المستشرقين كما يذهب بعضهم - ومنهم نجيب العقيلي وهو مسيحي تابع للمستشرقين ^(٢) - قد خدموا الاسلام خدمة عظيمة بما نشروا من فهارس ، وبما حققوا من كتب وبما أنشأوا من مطابع للدراسات الشرقية وبما أصدروا من

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٥

(٢) « المستشرقون » ، ج ٣ ، ص ١١٢٢ - ١١٦٦

دوريات ومجلات فان هذا كله لم يكن في المقام الأول هدف الدراسات الاستشرافية فكل ذاك اما هو وسيلة الى غاية ، ونحن اذ لا ننكر ذلك ولكن هذه الأمور والوسائل انما جعلها المستشرقون ستارا للمواربة والتعمية وصرف الأنظار عن الأهداف الخفية . فمثلا ان اعداد أي نوع من الفهارس أو نحو ذلك يترتب عليه من النفع المادي بما يعود على صاحبه بكثير من المال ، وخصوصا في العصر الحالي .

وخلاصة القول أننا لا نرى تقسيم المستشرقين الى فئة من المنصفين وفئة من المتعصبين ، فحال الفئة التي لا تقول شيئا عن الاسلام هي في نفس الوقت لا تنكر ما يقال عن الاسلام من الباطل فهم سكوت على ما يقال وسكوت هذه الفئة اقرار . واذا كان الله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين الذين يسكتون عما يستهزأ بآيات الله أنهم مثل من عمل بهذا فمن باب أولى أن يكون هو حال هؤلاء الساكتين ونحن هنا نشير الى قوله سبحانه وتعالى :

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ إنكم اذا مثلهم **إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** ^(١)

لذا فاننا نرى أن المستشرقين هم فئة واحدة لا فرق بينهم والحال كذلك ينطبق على أتباعهم وأشياعهم ومن سار على منهجهم من أذيال الاستشراق وأتباعه من الذين يرون الحق كل الحق في مناهج

(١) النساء ، الآية ١٤٠

الاستشراق وآراء المستشرقين ذلك أن المهتمين بالدراسات الاستشراقية كما أشرنا سابقا اما أنهم من الغربيين في أوروبا وأمريكا والبلاد المائلة ولما أنهم من الأتباع والأذيال من أبناء العرب والمسلمين المشاركة الذين يريدون أن يتحكموا الى الطاغوت . فالفريق الأول من الغربيين دون استثناء ، يتعاملون مع الاسلام بنوع من التحيز والتعصب مما يخرجهم من موضوعية المنهج العلمي ، والفئة الثانية من المشاركة ليسوا شيئا مذكورا فهم ليسوا الا مطايا للمستشرقين لتذليل الصعاب وبلوغ المرام .^(١) وفي هذا الشأن يشير الاستاذ محمد الغزالي بقوله :

« ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الاسلامي وتشويه لمبادئ الاسلام وثقافته ، واعطاء المعلومات الحاطة عنه وعن أهله وهم كذلك يجاهدون بكل الوسائل لينقصوا من الدور الذي أداه الاسلام في تاريخ الانسانية .

« ان المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك من هذا الخصام المتجنى والتفاوت - ان وجد بينهم - انما هو في الدرجة فقط ، فبعضهم أكثر تعصبا ضد الاسلام وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه . »^(٢)

ولهذا كان الواجب علينا أن نتعامل مع جميع المستشرقين على اختلاف طبقاتهم وتعدد فئاتهم بكل حذر وتحفظ وحيطه معها

(١) أنظر : *Orientalism*, P 49

(٢) « دفاع عن العقيدة وشرعية ضد مظان المستشرقين » : ص ١٣

اتسمت كتاباتهم بالموضوعية والمنهج العلمي . وعليه فإننا سنختم هذا الجزء من البحث بتنبية القارئ الى اخطر الكتب والمراجع والدوريات التي دس فيها المستشرقون سمومهم في النيل من الاسلام .

أولا ، المراجع :

(١) دائرة معارف الاسلام . Encyclopedia of Islam.

وقد ساهم فيها المئات من المستشرقين بمقالات عديدة . وقد طبعت هذه الموسوعة الى عدة لغات ، وذلك بقصد تعريف الأمم المختلفة بالدين الاسلامي والحضارة الاسلامية بصورة مشوهة وبالتالي لصد الناس عن قبول الاسلام .

(٢) مختصر دائرة معارف الاسلام . Shorter Encyclopedia of Islam.

وهي عبارة عن اختصار لمقالات دائرة معارف الاسلام مع مختارات لبعض المقالات ذات الأهمية والموجودة في الموسوعة الكبيرة ، وقصد بها تقديم فكرة عن الاسلام بصورة أسرع لمن لا يجد الوقت الكافي لقراءة الاجزاء الكبيرة في الموسوعة الكبرى .

(٣) دائرة معارف الدين والأخلاق

Encyclopedia of Religion and Ethics.

وهي موسوعة تتحدث عن جميع الديانات والعقائد الموجودة في هذا العالم وقد خصص جزء منها للدين الاسلامي والذي تم فيه تصوير الاسلام بصورة حقيرة وهزيلة فيما يخص أخلاقيات الاسلام

والمسلمين خصوصا في تصوير قضية تعدد الزوجات في الدين الاسلامي .

(٤) دائرة معارف العلوم الاجتماعية. Encyclopedia of Social Science.

وبها الكثير من الموضوعات التي تتصل بالحياة الاجتماعية للأمم والشعوب المختلفة وكيفية بناء كل مجتمع وما يقوم فيه من تقاليد بعضها لها أصل في الدين وبعضها يرجع الى تراث الشعوب والأمم ، والجزء الذي يتعلق بالحياة الاجتماعية في الدين الاسلامي من اعداد المستشرق والمؤرخ الانجليزي آرنولد توينبي وهو معروف بتعامله على الاسلام .

ثانيا ، الكتب والمؤلفات :

هناك عدد كبير من المؤلفات والكتب التي تخصصت في الكتابة عن الدين الاسلامي وتشريعاته وعن شخصية الرسول ﷺ وعن رسالته ونذكر منها على سبيل المثال :

(١) حياة محمد ، تأليف وليام موير . William Muir

(٢) الاسلام ، وقد ظهر باللغة الفرنسية للكاتب المستشرق هنري

لامنس Henry Lammens

(٣) دعوة المثلثة ، ألفه المستشرق الأمريكي ، ك . كراج K. Gragg

(٤) الاسلام اليوم ، وكتبه المستشرق البريطاني ، آربري A. J. Arberry

وهو صاحب ترجمة معاني القرآن الكريم ، وترجمته هذه فيها الدليل

الواضح على جهله التام باللغة العربية رغم استعانته ببعض العرب في اعداد الترجمة .

(٥) الكتابات المختلفة للمستشرق اليهودي المجري جولد سيهر .

(٦) الاسلام تحد لعقيدة ، وهو من تأليف المستشرق المبشر

البريطاني زويمر S. M. Zweimer

(٧) عقيدة الاسلام وكتبه الالماني أ . ج . فنسك A. J. Wensinck

(٨) تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الاسلام ، من

تأليف المستشرق الأمريكي د . ب . ماكدونالد D. B. Macdonald

(٩) طريق الاسلام ، تأليف مجموعة من المستشرقين على رأسهم

المستشرق البريطاني هـ . أ . ر . جب H. A. R. Gibb

(١٠) التصوف في الاسلام ، وكتبه المستشرق البريطاني نيكلسون

R. Nicholson

(١١) مصادر تاريخ القرآن وهو من تأليف آرثر جيفري A. Jeffery

(١٢) أصول الاسلام في بيئته المسيحية ، وهو من تأليف المستشرق

البريطاني بل R. Bell وهو كاتب مقدمة القرآن الكريم أيضا .

(١٣) التطورات المبكرة في الاسلام ، وهو مكتوب باللغة الانجليزية

للمستشرق البريطاني المتعصب مرجوليوث D. S. Margoliouth

وقد كتب الكثير من المؤلفات منها أيضا (محد ومطلع الاسلام)

و(الاسلام) و(الجامعة الاسلامية) .

(١٤) حياة محمد ، تأليف الفرنسي أ . غيوم A. Guillaume

وهو أحد من ساهم في الكتاب المعروف باسم (تراث الاسلام) .

(١٥) جملة كتابات و . م . وات W. M. Watt ومنها محمد في مكة ،

محمد في المدينة .

(١٦) جملة كتابات المستشرق الألماني جوزيف شاخت وهو من محرري دائرة المعارف الاسلامية ومن أشهر كتبه (أصول الفقه الاسلامي) . كما أنه يوجد عدد لا بأس به من المجلات والحوليات والدوريات الشهرية والسنوية والتي تعنى بالدراسات الاستشرقية وتعتبر هذه الدوريات من أفسح المجالات لبث آراء المستشرقين المسمومة عن الاسلام والمسلمين ونذكر منها ما يلي :

(١) مجلة العالم الاسلامي *Muslim World* وهذه المجلة تصدر باللغة الانجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية .

(٢) مجلة العالم الاسلامي ، وهي تشبه المجلة التي تصدر باللغة الانجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية الا أن مكان صدورها هو فرنسا ، وهي تصدر باللغة الفرنسية . وكلتا المجلتين تعنى بالأغراض التبشيرية في المقام الأول .

(٣) مجلة الشرق الأوسط ، *Middle East Journal*

(٤) مجلة دراسات الشرق الأوسط *Middle Eastern Studies Journal*

وسنعرض في نهاية هذا البحث ملحقا فيه أسماء أخطر المستشرقين في الدول التي تهتم بالدراسات الاستشرقية والتي يتسم فيها هذا الحقل بالحيوية والاهتمام لما تؤديه هذه الدراسات من فوائد استعمارية وسياسية نحو البلاد الاسلامية . ونذكر هنا أن الدكتور محمد البهي في كتابه ، « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » قد أورد قائمة ببعض الأسماء ولكنها ليست مطولة وكافية ، كما أن كتاب نجيب العقيلي المستشرقون اشتمل على قوائم مطولة جدا

عن أسماء المستشرقين في أكثر من عشر دول غربية وكلا الكتابين لم يهتم بترتيب الأسماء حسب الترتيب الأبجدي بالنسبة لأسماء الدول ، وأسماء المستشرقين وهذا ما نحاول عمله في هذا البحث ، وان كنا سوف نكتفي بذكر أسماء المستشرقين في كل من : فرنسا ، ألمانيا ، إيطاليا ، اسبانيا ، المملكة المتحدة (بريطانيا) والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وقد عملنا بترتيب هذه الدول أبجديا من حيث الأسماء باللغة الانجليزية وليس باللغة العربية بناء على التصنيف العالمي للبلدان والدول والمصطلح عليه جغرافيا وسياسيا . كما أن القائمة قد روعي فيها اختيار المستشرقين الذين كتبوا عن الشريعة الاسلامية وعقيدتها وعن شخصية الرسول ﷺ وعن الأدب واللغة العربية ، دون الأهتمام بهؤلاء المستشرقين الذين كتبوا عن الرحلات الجغرافية والطب والفنون الأخرى ، وذلك لأن الكتابات عن الشريعة الاسلامية وعن شخصية الرسول ﷺ كما أسلفنا من أهم الأمور التي تشغل المستشرقين والتي عن طريقها يمكن للمستشرقين أن يحققوا أهدافهم الأخرى لتشكيك المسلمين وغيرهم في الاسلام ومبادئه وفيما يلي موجز عام عن الاستشراق في الدول التي ذكرنا آنفا :

أولا : فرنسا :

ان الصلات الشرقية الفرنسية تعود الى تاريخ قديم جدا عندما وصلت جيوش المسلمين الى جنوب فرنسا ، ومنها فقد قامت علاقات مختلفة تجارية ، ثقافية ، عسكرية ، سياسية ، كما كان في

عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد وعلاقته مع الملك شارلمان . أما بالنسبة للدراسات الاستشرافية في فرنسا فلقد بدأت بالبعثات التعليمية التي قامت بدراسة التراث الاسلامي واللغة العربية في الأندلس وصقلية وذلك منذ القرن الثاني عشر والذي من بعده بديء في انشاء المدارس والمعاهد الخاصة بالدراسات الاستشرافية في فرنسا نفسها ، وأهمها توجد في جامعاتها والتي منها :

- (١) جامعة تولوز (٦١٤هـ - ١٢١٧) Toulouse
- (٢) جامعة بوردو (٨٤٥هـ - ١٤٤١) Bordeaux
- (٣) جامعة السوربون (٦٠٠هـ - ١٢٥٧) Sorbonne
- (٤) جامعة ليون (١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م) Lyon
- (٥) جامعة ستراسبورج (١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م) Strasbourg

هذا الى جانب العشرات من المعاهد القومية والدينية التي لم تخل من أقسام للدراسات العربية والاسلامية والتي تعتبر كذلك من أهم المراكز الاستشرافية ومنها نذكر :

- (١) المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس (١٢١٠ - ١٧٩٥) Ecole Nationale des Langues Orientales Vivantes Paris

- (٢) معهد مصر بباريس (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) Institut d'Egypte

بالاضافة الى المعاهد والمدارس التي أوجدتها السلطات الفرنسية في بعض الدول الاسلامية والعربية التي كانت تحت احتلالها ومنها :

- (١) المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة (١٢٩٢هـ - ١٨٨٠)

(٢) كلية بورجاد في تونس (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) Bourgade

(٣) معهد الدراسات العليا في تونس (١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م)

Institut des Hautes Etudes de Tunis

(٤) مدرسة الآداب العالية في الجزائر (١٢٩٩هـ - ١٨٨١م) والتي

تحولت الى جامعة الجزائر فيما بعد . Universite d'Alger

(٥) المعهد الفرنسي في دمشق (١٣٤١هـ - ١٩٢٢م)

Institut Francais de Damas

(٦) المعهد الفرنسي في طهران (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م)

Institut Francais de Teheran

وبجانب تلك المراكز والمعاهد والمدارس هناك المكتبات المشهورة التي تضم في أروقها الكثير من المصادر الاسلامية بالاضافة الى الرسائل العلمية والمخطوطات ومنها نذكر ما يلي :

(١) مكتبة باريس الوطنية (١٠٦٥هـ - ١٦٥٤م) وبها ما يزيد على سبعة آلاف مخطوط عربي تعنى بالاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامي .

(٢) مكتبات الجامعات والمعاهد التي تقدم ذكر بعضها .

(٣) مكتبة الجمعية الآسيوية في باريس .

(٤) مكتبات المستشرقين أنفسهم .

وتضم هذه المكتبات نتاج المستشرقين من كتب ودوريات ومجلات حولية والتي تصدر في فرنسا وتتعلق بالدراسات الاستشراقية ومنها :

(١) المجلة الآسيوية (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م)

Journal Asiatique, Paris

(٢) مجلة تاريخ الأديان (١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م)

Revue de l'Histoire des Religions, Paris

(٣) نشرة الجمعية اللغوية (١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م)

Bulletin de La Societe de Linguistiques

(٤) مجلة الشرق المسيحي (١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م)

Revue de L'Orient Chretien

(٥) الدراسات الاسلامية (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م)

Studia Islamica

(٦) ثبت المصنفات الاسلامية (١٣٤٦ هـ - ١٣٧٤ م) (١٩٢٧ -

Abstracta Islamica (١٩٥٤

ثانيا : ألمانيا :

تعتبر ألمانيا من بين الدول الأولى التي اهتمت بحضارة الاسلام ، ويعود اتصال ألمانيا ببلاد الاسلام الى تاريخ الحملة الصليبية الثانية في عام ١١٤٧ ، وخصوصا عندما قام رجال الدين بترجمة الكتب العربية . ولقد لمس العلماء الألمان أهمية الحضارة الاسلامية وفائدة دراستها عن طريق فرنسا وما وصلت اليه العلاقات الفرنسية ببلاد المسلمين ، وبذلك ازداد اهتمام ألمانيا بالعناية بالشرق ، وقد تأثر كثير من المستشرقين الألمان بمنهج المستشرق الفرنسي رينان دي ساسي ومنهم فلا يشير وايفاد اللذان

عدا من مؤسسى الدراسات الاستشرافية فى ألمانيا . وفيما يلي نذكر بعض أهم مراكز الاستشراق ، والدوريات الاستشرافية وجمعيات المستشرقين الموجودة فى ألمانيا :

- (١) جامعة هايدلبرج (٧٨٨هـ - ١٣٨٦م) Heidelberg
- (٢) جامعة كولن (٧٩٠هـ ثم ١٣٣٨م) Koin
- (٣) فورز بورج (٥٠٨هـ - ٩٩٠) (١٤٠٢هـ - ١٥٨٢م)
- (٤) جامعة بون (١٢٠١ - ١٣٢٠) (١٧٨٦هـ - ١٩٠٢م)
- (٥) جامعة برلين (١٢٢٤ - ١٨٠٩م) Berlin

كما يوجد عدد غير قليل من المراكز والمدارس التى تهتم بتعليم اللغة العربية وبعض اللغات الشرقية الأخرى . وتهتم مراكز الاستشراق فى ألمانيا باصدار عدد كبير من الحوليات والنشرات ومنها :

- (١) المجلة الآشورية والتى أسسها كارل بتسولد
- (٢) مجلة الآداب الشرقية (١٣١٦هـ - ١٨٩٨م) أنشأها فليكس باير .
- (٣) مجلة الجمعية الألمانية للدراسات الفلسطينية تصدر عن معهد اللغات فى برلين .
- (٤) مجلة الاسلام (١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م) أنشأها الوزير كارل هنرينج بيكر وهي تصدر عن طريق الجمعية الألمانية فى هامبورج . ولقد اهتم المستشرقون الألمان باعداد الفهارس وحفظ المخطوطات واعداد قوائم عامة للمراجع والكتب الاسلامية والعربية كما هو

موجود في معظم مكتبات المراكز الاستشرافية أمثال مكتبة برلين الوطنية ، جوتنجين ، هايدلبرج وماينس .

ومن الملاحظ أن الدراسات الاستشرافية قد ازدهرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية وازداد الاقبال عليها اذ ازداد عدد المشتغلين من طلاب ومدرسين وباحثين في هذا الحقل ، ولا أدل على ذلك من تزايد الجمعيات الشرقية الألمانية مثل الجمعية الشرقية الألمانية والتي تأسست عام (١٢٦٢هـ - ١٨٤٥م) وكان مقرها الأول مدينة هاله ولكن عندما ازداد نشاطها انتقلت في عام ١٩٤٨ الى مدينة ماينس حيث عين المستشرق المشهور واضع معجم اللغة العربية المعاصرة البرفسور هانز فير أميناً عاماً لهذه الجمعية .

ثالثاً : إيطاليا :

تعتبر إيطاليا من أقدم الدول الغربية التي اتصلت بالبلاد الإسلامية مثل أسبانيا ، فلقد قامت حركة علمية واسعة تعنى بدراسة حضارة الاسلام عن طريق الترجمة والحفظ والتأليف والنشر وتعليم اللغات الشرقية بتوجيه من الفاتيكان ومقام البابوية المعادية للاسلام وقد صرفت أموالاً كثيرة لذلك في انشاء المعاهد والمدارس وتأسيس المطابع واصدار الكتب والدوريات ونذكر منها الآتي :

(١) جامعة بولونيا (١١١٨هـ - ١٧٠٦م) Bologna

(٢) جامعة نابولي (٢٦١هـ - ١٢٢٤م) Napoli

(٣) جامعة روما (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) Roma

(٤) المعهد البابوي للكتاب المقدس (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م)

(٥) المعهد البابوي للشرق (١٣٣٧هـ - ١٩١٨م)

ولقد قامت هذه المراكز وغيرها بدراسة الشرق واللغة العربية وبعض اللغات الشرقية الأخرى كالتركية والفارسية والالبانية ، والصينية . ولقد ازداد الاهتمام بالاستشراق في ايطاليا في القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر حيث ازداد تنظيم الدراسات الشرقية وخصوصا في تدريس اللغات الذي عهد به الى كبار المستشرقين أمثال أماري ، وجويدى ونلينو وغيرهم .

ومن بين النشرات والحواليات التي تهتم بالشرق نذكر ما يلي :

(١) الشرقيات (١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م) Orientalia

(٢) مجلة فلسطين (١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م) Palestina

(٣) مجلة الشرق والغرب (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) East and West

ونظرا للاهتمام بحركة الاستشراق فقد وجدت الحاجة الى انشاء بعض المطابع الشرقية التي تطبع ما يصدره العلماء من ذلك مثلا مطبعة البندقية (٨٧٤هـ - ١٤٦٩م) ومطبعة فانو (٩٢٠هـ - ١٥١٤م) ولا يزال الاهتمام بالشرق وحضارة الاسلام في ايطاليا قائم على قدم وساق .

رابعا : أسبانيا :

يأتي اهتمام أسبانيا بالشرق والحركة الاستشرافية نتيجة اتصال العرب ببلاد الأندلس وفتحها حيث نشرت الثقافة الاسلامية

وحضارة الاسلام واللغة العربية . لهذا لا يمكن اغفال أهمية أسبانيا في هذا المجال وخصوصا أن هناك العشرات من كراسي الاستشراق ومراكزه الهامة التي تعنى بدراسة الاسلام واللغة العربية ومنها :

(١) جامعة اشبيلية (٦٥٢هـ - ١٢٥٤م) Sevilla

(٢) جامعة برشلونة (٨٥٤هـ - ١٤٥٠م) Barcelona

(٣) جامعة مدريد (٩١٤هـ - ١٥٠٨م) Madrid

(٤) جامعة غرناطة (٩٤٧هـ - ١٥٤٠م) Granada

ويوجد في أسبانيا الكثير من المكتبات الشرقية المنتشرة في أنحاء البلاد مثل :

(١) مكتبة الأسكوريال (٩٦٥هـ - ١٥٥٧م)

Biblioteca del Escorial

(٢) مكتبة مدريد الوطنية (١١٢٩هـ - ١٧١٦م)

Biblioteca Nacional de Madrid

(٣) مكتبة جمعية الأبحاث العلمية (١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م)

Junta de Amplication de Estudios

ولقد أسست عدد من المطابع التي تهتم بطباعة ما يكتبه المستشرقون من مجلات وكتب ومن بين هذه المجلات نذكر :

(١) مجلة أفريقيا (١٣٣٢ - ١٣٣٨هـ) (١٩١٣ - ١٩١٧م)

(٢) مجلة الأندلس (١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م) Al-Andalus

(٣) مجلة مدينة الله (١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م) Giueded de Dois

(٤) مجلة الشرق الأوربي (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م) Oriente Europeo

ولقد اهتم المستشرقون في أسبانيا بوضع الكثير من الفهارس وقوائم بأسماء الكتب والمصادر التي تتعلق بالشرق خصوصا منذ عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م عندما ازداد الاهتمام بالاستشراق .

خامسا المملكة المتحدة : (بريطانيا) :

يعتبر الاستشراق البريطاني من أعرق أمم الغرب توثيقا واهتماما بحضارة الاسلام لما ترتب عليه من نتائج استعمارية عسكرية ، واقتصادية تجارية وثقافية فكرية وقد يرجع تاريخ الحركة الاستشرافية في بريطانيا الى عام ٥٥٣ - ١١٥٨م أي بعد الحملة الصليبية الثانية بعدة سنوات ولقد تنوعت أسباب الاستشراق وتعددت أغراضه في بريطانيا ، لذلك كانت حركة الاستشراق في بريطانيا قوية ونشطة على مر السنين وكانت موجهة توجيهها علميا مقننا لخدمة مصالح استعمارية وتبشيرية بما عرف لهذه الحركة من النقل الكثير عن التراث الانساني والحضاري للمسلمين . وما يمكن ملاحظته أن حركة الاستشراق تتسم بالنشاط في بريطانيا لما توفر لها من تشجيع ودعم مادي ومعنوي ولما لمست هذه الحركة من انشاء العديد من المراكز الاستشرافية ، من ذلك مثلا :

- | | |
|------------|--------------------------------------|
| Oxford | (١) جامعة اكسفورد (٥٦٣هـ - ١١٦٧م) |
| Cambridge | (٢) جامعة كامبردج (٦٥٥هـ - ١٢٥٧م) |
| London | (٣) جامعة لندن (١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م) |
| Durham | (٤) جامعة درم (١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م) |
| St Andrews | (٥) جامعة سنت أندروز (٨١٤هـ - ١٤١١م) |

(٦) جامعة ادنبرا (٩٩١هـ - ١٥٨٣م) Edinburgh

(٧) كلية الثالث (١٠٠١هـ - ١٥٩٢م) Trinity College

بالإضافة الى هذه المراكز والموجدة داخل حدود بريطانيا هناك الكثير من مراكز الاستشراق التي أنشئت في المقاطعات الاستعمارية ودول الكومنولث التابعة لبريطانيا كما هو موجود في كندا ، وأستراليا ، ونيوزيلندا ، ومالطة ، والسودان ، وجنوب أفريقيا ، والهند ، ومصر ، وتوجد في بريطانيا أكبر مجموعة من مصنفات العلوم الاسلامية والعربية وما يتعلق بتاريخ الشرق وحضارته وما هو موجود في المتحف البريطاني ومكتبة جامعة لندن والمتمثلة في مدرسة الدراسات الأفريقية والشرقية التابعة للجامعة . ولقد أقام المستشرقون البريطانيون عددا كبيرا من الجمعيات الاستشرافية وعكفوا على اصدار الكثير من الحوليات والمجلات .

والاستشراق في بريطانيا ازدهر خلال القرنين الثامن والتاسع عشر بسبب العوامل الاستعمارية التي عادت على البلاد بالكثير من الأموال وبسبب اتصال المستشرقين ببعضهم البعض في الدول المختلفة .

سادسا : الولايات المتحدة الأمريكية :

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية من الدول الغربية الحديثة العهد بالدراسات الاستشرافية التي لم تعرفه الا في القرن التاسع عشر عن طريق اللغة العبرية وتمكن اليهود من السياسة الامريكية ويرجع تاريخ ذلك الى عام (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) ، ومع قصر

المدة الزمنية لحركة الاستشراق في أمريكا الا أن المستشرقين في أمريكا نجحوا في تنشيط هذه الدراسات واعطائها الصبغة العالمية بما أنشأوا من محافل استشراقية ، واصدار مجلات وكتب في عام (١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م) أسست أول جمعية آسيوية اهتمت باصدار دوريات عن الأدب العربي والاسلام وترجمة بعض الكتب العربية الاسلامية ، واستمرت هذه الحركة في الظهور والازدهار حتى بلغت شأوا بعد الحرب العالمية الثانية حيث ظهر الاهتمام بتكثيف عدد مراكز الاستشراق واصدار الحوليات وتأسيس الجمعيات والمكاتب وتزويدها بالمراجع ومن ذلك نذكر :

- (١) جامعة هارفرد (١٠٤٦هـ - ١١٩٤م) (١٦٣٦هـ - ١٧٨٠م)
- (٢) جامعة ييل (١١١٣هـ - ١٢٩٩م) (١٧٠١هـ - ١٨٨١م)
- (٣) جامعة برنستون (١١٥٩هـ - ١٧٤٦م) Princeton
- (٤) جامعة ميشيجان (١٢٣٣هـ - ١٨١٧م) Michigan
- (٥) جامعة كاليفورنيا (١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م) California
- (٦) جامعة جونز هوبكنز (١٣١٠هـ - ١٨٩٢م) Johns

بالاضافة الى جامعات أخرى ومعاهد ومدارس كثيرة منتشرة في أرجاء الولايات المتحدة والتي اتفقت مع جامعة كلومبيا على دراسة المنهج الشرقي الحديث كما في جامعة نيويورك ، وويسكونسن ، وانديانا .

ويوجد في أمريكا الكثير من المكتبات العلمية التي تضم الكثير من المصنفات والكتب التي تعنى بالشرق وحضارة الاسلام من

ذلك نذكر :

- (١) مكتبة الكونجرس (١٢١٥هـ - ١٨٠٠م) Congress
- (٢) مكتبة نيويورك العامة (١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م) NEW YORK
- (٣) مكتبة جامعة برنتسون (١٣١٨هـ - ١٩٠٠م) Princeton
- (٤) المكتبة الحبشية (١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م) Bibliotheca Abessinica

والاستشراق كحركة علمية ينشط في أمريكا في هذا القرن أكثر من أي بلد آخر بسبب القضايا السياسية المتعلقة بالشرق وخصوصا بالمنطقة العربية منه ولما لليهود من تأثير في ذلك .

سابعا : الاتحاد السوفيتي :

بالمقارنة بين عمر الاستشراق في روسيا وأمريكا نلاحظ أن روسيا أسبق الى هذا المضمار من أمريكا خصوصا اذا ما عرفنا أن الصلات الروسية ببلاد الاسلام بدأت منذ العصر العباسي الأول عن طريق التجارة في بغداد وعن طريق الزوار الروس النصارى الى بيت المقدس ، ثم تلا ذلك حملات المغول والتتار (٥٦٠هـ - ٦٢٤م) (١١٦٤هـ - ١٢٢٧م) على البلاد الاسلامية . وبعد سقوط امبراطورية المغول اتصلت روسيا بالمسلمين وخصوصا في القوقاز وجزءها الآسيوي ودخلت أعداد كبيرة من الناس في دين الاسلام فازداد الاهتمام بالاسلام واللغة العربية ومن هنا ازداد الاهتمام بالاستشراق خصوصا منذ عام (١٢١٩هـ - ١٨٠٤م) حينما أدخل في الجامعات السوفياتية التي تمثل مراكز الاستشراق في هذه الدولة مثل :

- (١) جامعة خاركوف (١٢١٩هـ - ١٨٠٤م) Kharkov
 (٢) جامعة فازان (١٢١٩هـ - ١٨٠٤م) Kazan
 (٣) جامعة موسكو (١١٦٩هـ - ١٧٥٥م) Moscon
 (٤) جامعة بطرسبرج (١٢٣٥هـ - ١٨١٩م) Petersbourg

ويظهر اهتمام المستشرقين الروس بالشرق الاسلامي في ما اعتنوا به من اللغة العربية وآدابها وخصوصا أدب العصر الحديث . ويوجد في روسيا الكثير من المكتبات التي تضم مئات الكتب العربية والاسلامية والمتوفرة في :

(١) المكتبة الامبراطورية العامة .

(٢) المتحف الآسيوي .

(٣) مكتبة ليننجراد .

وقد اهتم المستشرقون الروس باصدار عدد كبير من المجلات والحواليات التي تعنى بالاسلام واللغة العربية وآدابها مثل :

- (١) عالم الاسلام (١٣٣١هـ - ١٩١٢م) Mir Islam
 (٢) الآداب العالمية (١٣٣٨هـ - ١٩١٩م)

VSYOMIRNAYA Literatura

- (٣) العالم الشرقي (١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م) SKHIDIN SVIK

اهتمام روسيا بهذه الحركة العلمية انما هو بقصد رصد حركة الاسلام والأمة الاسلامية لتتمكن من القضاء على المسلمين ونشر الشيوعية الماركسية في العالم وهو ما نلاحظه في الغزو الروسي لأفغانستان اليوم .

هذا وان الاهتمام بالاستشراق لم يقتصر عليه في الدول التي ذكرنا فقط ، فالعالم الغربي بأسره يهتم بالشرق وحضارة الاسلام فذلك موجود في هولندا ، والبرتغال ، وسويسرا ، وبلغاريا ، والنمسا ، وبولندا .. الخ

ولكننا اكتفينا باعطاء أمثلة عن ذلك في أهم الدول وأكثرها عناية واهتماما بذلك خصوصا وأن هذه الدول تمثل القوى الكبرى في العالم مثل أمريكا وروسيا وبريطانيا ، وفرنسا .. الخ

الفصل الخامس

« لا موضوعية عند المستشرقين »

ان عملية تقسيم المستشرقين - كما أوضحنا فيما سبق - الى أنواع وفئات متعددة ومتباينة ، فئة تعادي الإسلام والتراث الاسلامي واللغة العربية ، وفئة تتصف بالانصاف في نظرتها الى الاسلام والحضارة الاسلامية ، كل هذا يدل على ظاهرة واضحة بأن المستشرقين ليسوا أصحاب منهج علمي متفق عليه ^(١) ذلك لأن المناهج العلمية عادة ما تؤدي بالباحثين الى نتائج واحدة ومتقاربة في مثل هذا النوع من الدراسات وقلما يوجد التباين بينها والاختلاف ، فلو أن الدراسات الاستشراقية تقوم على الموضوعية والمنهج العلمي كما يزعمون - لما اختلفت النتائج التي يتوصل اليها الا اختلافا في وجهات النظر من حيث الفهم والاجتهاد ^(٢) .

بل هناك الكثير والكثير من الدلالات والمؤشرات التي سنناقش بعضها والتي تدل على عدم موضوعية الدراسات الاستشراقية وعدم وجود المنهج العلمي في بحوث معظم المستشرقين ان لم نقل كلهم .

ان عدااء المستشرقين للإسلام وللشعوب الاسلامية ظاهرة لا يختلف عليها اثنان ، وهذا العدااء للإسلام أصله معروف تاريخيا ومرد ذلك الى الحروب الصليبية والتي أدت الى قيام حركة

(١) « الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين » ، ص ١٦١

(٢) نفسه ، ص ١٥٤

الاستشراق كما أشرنا الى ذلك حيث انهزمت جميع الحملات
الصليبية أمام القوة الاسلامية وجيوش المسلمين . ومن الناحية
العلمية فإن العداء للاسلام يأتي من تجاهل هؤلاء المستشرقين لحقيقة
الاسلام وجهلهم باللغة العربية . واذا ما قلنا بأن العداء ظاهرة
انسانية صادرة من الحقد والحسد والضغينة ، وهي أسباب ذاتية
عادة ما تدفع الانسان الى الظلم والتعسف وعدم الانصاف بقصد
قهر الطرف المعادي والاستعلاء عليه . واذا كنا نعرف أهداف
المستشرقين وأغراضهم - كما تقدم ذلك - فنأين للمستشرقين أن
ينصفوا الاسلام ويقولوا الحق ؟ من هذا يمكننا القول بأن الموضوعية
لا يمكن أن تقوم لها قائمة في ظل العداء والحقد لأن التفكير العدائي
المورث من الصليبية القديمة مستحوز على اتجاهات المستشرقين
وطريقة تفكيرهم فهم ليسوا من العدل في شيء ولهذا فمنهج
المستشرقين ليس منهجا علميا لأنه موجه حسب التفكير القديم عن
الاسلام وما تركته الحروب الصليبية في النفوس . ولو سلمنا بأن
بعض المستشرقين لا يجهلون حقيقة الاسلام ، ولديهم الامام الكافي
باللغة العربية - وهم قلة نادرة لا حكم لها - فإن أمثال هؤلاء
لا ينكرون منكرا ولا يقرون معروفا لأنهم سكوت وكما هو معروف في
الأثر أن الساكت على الحق « شيطان أخرس » ذلك أن الساكت
من المستشرقين على ما يجري من مفتريات ضد الاسلام من قبل
المستشرقين الآخرين ليس بأحسن حالا من غيره لأن في سكوته
اقرار لما يجري . ولقد كان من المفروض أن تحتفي ظاهرة التعصب
الديني والعداء المبني على ظواهر غير حقيقية سوى الخسارة التي

منيت بها الحملات الصليبية في تحقيق مطامعها الاستعمارية والتبشيرية فلجأت الى الحرب الفكرية جنبا الى جنب مع الحرب العسكرية حتى يشغل المسلم فكريا وجسميا ، نقول كان من المفروض أن تختفي ظاهرة التعصب الديني في ظل الحضارة الغربية الحديثة التي تنادي بالحرية والديمقراطية وما الى ذلك من شعارات ، لكن لم يحدث شيئا من ذلك للأسف لأن ظاهرة التقدم والمدنية في الغرب ظاهرة مادية تخلو من الروح والعقل وتعنى بالجسد وملذاته ، من ذلك مثلا ما نلاحظه أنه اذا ما اقتنع أحد المستشرقين أو المفكرين الأوروبيين بالدين الاسلامي وأنه دين الله الخالد وأنه الشريعة الصالحة فأعتنق الاسلام وجعل الاسلام له ديناً وشرعة ومنهاجا ، فان زملاءه من المستشرقين يناصبونه العداوة ، ومن أسلم من هؤلاء المستشرقين فهم في نظر زملائهم طائفة منحرفة لا تعرف الحق ولا المنهج العلمي ، طائفة منساققة وراء العاطفة والرغبة في مجاملة المسلمين ، وهذه الأقوال وأمثالها ليست جديدة فقد سبق الى هذا كفار مكة في قولهم عن كل من أسلم بأنه صباً وخرج عن دين الآباء والأجداد . انه لمنطق عجيب فالمستشرق الذي أسلم يكون قبل اسلامه عاقلا متزنا في نظرهم واذا ما أسلم وهو بنفس العقلية والاستعدادات الفكرية أصبح في نظرهم شخص يفكر بعاطفته لا بعقله . هل هذا منهج علم وموضوعية ؟ نعم ان كان لدى المستشرقين أدنى قدر من الموضوعية وخصائص المنهج العلمي وحرية الرأي ، والأقوال الخاصة بالديمقراطية المزعومة فما الذي يضير المستشرقين أن يعتنق أحدهم الاسلام ويصبح مسلما

فهذه مسائل شخصية وحرية فردية ، ولكن لأن عدم الموضوعية تسيطر على المستشرقين فهم لا يريدون من أحد أن يكون مسلماً لما لذلك من نتائج سيئة ، لأن من أسلم من المستشرقين عرفوا الحق وقالوا به وبينوا الكثير من مغالطات الاستشراق وعدم موضوعيته^(١) وفي العبارات الآتية الكثير من الرياء والنفاق كلام ظاهرة الرحمة ومن باطنه العذاب ، كلام قصد به أن يخدع الضعاف ممن يمكن خداعهم بسهولة وفي هذا نقل ما يلي :

« فنحن معشر المستشرقين ، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي ، بل على العكس ، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة . ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر ، بل نقيم وزناً فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه . ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه ، وعلى المؤلفات العربية التي تشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن . وإذا كانت امكانيات معرفتنا محدودة - وهل يمكن أن تكون الا كذلك ؟ - فاننا نؤكد

(١) نذكر بعض أسماء من أسلموا من المستشرقين أمثال محمد أسد (ليد بولد فايس) صاحب كتاب « الإسلام على مفترق الطرق » ، عبد الرشيد الأنصاري (روبرت ولزلي) والاساذ ناصر الدين (اسحق دينيه) والبريطاني ايفلين كويلد والدكتورة الهولندية ستان رانيس وغيرهم كثير .

بضمير مطمئن أننا في دراستنا لا نسعى الى نوايا جانبية غير صافية ، بل نسعى الى البحث عن الحقيقة الخالصة أما الرأي المضاد لذلك والذي نشره عالم الأزهر الأستاذ البهى في كتيبه الذي صدر أخيرا باسم « المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام » فنحيط به علما ونحن هادئو البال «^(١)

هذا نموذج لما يدعيه المستشرقون عن أبحاثهم ودراساتهم اذ يزعمون أن الهدف من دراساتهم للحضارة الاسلامية واللغة العربية هو العمل على تمحيص الاسلام من وجهة نظر علمية تتم بالموضوعية التى تخضع لقواعد المنهج العلمي أين الموضوعية وقد حدد هذا المستشرق القول بأن تمحيص الشريعة الاسلامية والحضارة الاسلامية في منهج المستشرقين يخضع لقواعد المعيار النقدي عندهم ؟ فتى أنصف الخصم عدوه ؟ وهو بهذا كأنه يقول بأن الاسلام ناقص حيث أشار في قوله « ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل النظر » وكمنهج علمي هذا صحيح ولكن أعمال النظر عند المستشرقين هو عملية التحريف والتشويه للحقائق الثابتة التى تنتهى الى القول بأن الامام الزهري رحمه الله تعالى من الوضاعين للأحاديث النبوية كما فعل جولد سيهر . وفي هذا المقام يشير هذا المستشرق في قوله الى أن معرفة المستشرقين محدودة ، فكيف يمكن لمن معرفته قاصرة ومحدودة أن يجعل من نفسه حكما حيث أن فاقد الشيء لا يعطيه . كيف لمن

(١) « الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية » ، ص ١٠

لا يعرف اللغة العربية أن يستطيع الوقوف على أسرارها وتميز الأحكام ومعرفة المقاصد الشرعية؟ كيف لمن يجهل الدين الاسلامي يمكن أن يدلي بدلوه ويقول برأيه عن الاسلام؟ أليس في هذا تهاونا وأي تهاون مع شروط المنهج العلمي وقواعد البحث والموضوعية؟ كيف يمكن لهؤلاء الناس أن يعملوا أفكارهم فيما هم به جاهلون وله متجاهلون؟ أليس من الأجدى بهؤلاء المستشرقين أن يعملوا النظر فيما هم فيه من أنظمة مادية وقوانين لا أخلاقية؟ أليس من الأولى بهؤلاء المستشرقين تطبيق المعايير النقدية على الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية السائدة في الغرب؟ ان مثل هذه الأمور تدل كل الدلالة على فساد منهج المستشرقين وعدم موضوعيته لأنه ليس للمستشرقين من علم ودراسة بحقيقة الاسلام سوى أنه دين يهدد مصالح الانسان هذا أمر عقائدي ساد الغرب والعقول الغربية بقصد القضاء على الاسلام وضمان السيادة لغير المسلمين وصدق الله العظيم اذ يقول :

﴿وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا﴾ إن الله عليم بما يفعلون . وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وأدعوا من استطعم من دون الله ان كنتم صادقين . بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين .^(١)

(١) يونس . الآيات ٣٦ - ٣٩

هل كان المستشرقون أكثر حرصا من المسلمين على معرفة دين الاسلام وحضارته وتاريخه ؟ من الذي وضع علم الرجال ، وعلم الأسانيد ؟ من الذي وضع علم الطبقات وطرق البحث التاريخي ؟ أليس ذلك هو حرص المسلمين على دينهم ؟ أم أن المستشرقين هم أكثر اهتماما بتشريعات السماء بقصد اسعاد المجتمعات الانسانية ؟ ان كانوا كذلك فأين اهتمامهم بالنصرانية واليهودية الصحيحة ، ولكن أيديهم سطت على كتب السماء وحرفتها وغيّرت كلام الله وهم يريدون أن يفعلوا ذلك بكتاب الله سبحانه وتعالى وأن يعثوا بشريعة الاسلام ولكن أي لهم التناوش ؟ ان كان المستشرقون أشد حرصا على تحرير الانسان وجلب السعادة اليه فعليهم أن يعالجوا قوانين بلادهم ويعملوا على تمحيص ما هم فيه من حال الخليلات والأخذان ودور البغاء ونظام الزواج الجماعي ، ومشاكل الاسرة ونظام الزواج المبني على فكرة الرباط المقدس وهو أن ما ربطه الله لا يحله أحد غير الله ، عليهم بمعالجة مشاكل الاجرام والجريمة وتعاطي المخدرات ، وتشرّد الأحداث ، والتبرج ، ونوادي العراة وما شابه ذلك من مشاكل التي أتعبت المصلحين الاجتماعيين في الغرب وما تسعى اليه البرامج الاصلاحية من عدم نشر المجلات التي تعنى بنشر الصور الجنسية السافرة والتي يراها الكبار والصغار على السواء . هل ما يقصده المستشرقون من قولهم بتمحيص التشريع الاسلامي هو أن نصبح نحن المسلمين على نفس المستوى المتدني من الأخلاق والنظم التي يعيشونها حتى يقال عن ذلك انه المدنية ، والحضارة والتقدم . ان هؤلاء المستشرقين يزعمون أنهم في أبحاثهم يريدون

التأكد من مدى صحة الدعوة الإسلامية ومدى صدق نبوته عليه الصلاة والسلام . فهل تأكد هؤلاء المستشرقون من صحة المنهج الذي يعملون به في نظرتهم الى الاسلام ؟ اذا كان لدى المستشرقين هذه القدرة على البحث والتحصيل فلماذا لا تصرف هذه الطاقات لاصلاح المجتمعات الغربية الفاسدة ؟ أم أن الأمر خلاف ذلك ؟ نعم ان الأمر خلاف ذلك هو الخوف من سلطان الحق سلطان الاسلام ، والخشية من الاسلام هذه هي من الأسباب التي أدت الى انشاء بعض المحافل الاستشراقية والجامع العلمية التابعة لحركة الاستشراق بقصد رصد الحركة الاسلامية ونهضة الاسلام ونمو بلدان وشعوب الأمة الاسلامية ، ومن بين هذه الجامع نذكر مجمع الصداقة الأمريكية والشرق الأوسط ، والمجمع الأمريكي لمدرسي اللغة العربية ورابطة الدراسات الآسيوية ورابطة خريجي الجامعات الأمريكية العرب . ان هذه الاتحادات وأمثالها من الجمعيات والمحافل الأخرى وعلى رأسها المجمع الاستشراقي الكبير الذي أعلن عن الوحدة الفكرية والتلاقي الفكري بين المستشرقين ، وأن الاستشراق أصبح حركة عالمية والتي صرح عنها في أول لقاء عقده المجمع الاستشراقي في عام ١٢٩٠ هـ ١٨٧٢ م والتي ظهر فيها سوء الطوية والأهداف السيئة التي يحملها الاستشراق للإسلام والمسلمين فيه دليل كاف على عدم موضوعية المستشرقين وانصافهم لحقيقة الاسلام^(١) مرة أخرى نقول كيف لمن لا يعرف اللغة العربية

(١) أنظر : *A Critical Analysis of Islamic Studies at North American Universities* pp. 17-18

وأسرارها أن يسبر غور الدراسات الإسلامية ويعرف المقاصد اللغوية والمعاني المترتبة على ذلك ، ونحن نعلم أن قلة قليلة جدا من المستشرقين هي التي تعرف اللغة العربية بمستوى ليس بالممتاز الى حد التعمق ، والدليل على ذلك ما نراه في كتابات المستشرقين وتفسيراتهم لبعض الأمور في القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب ومن ذلك مثلا نذكر ترجمة مقدمة ابن خلدون للمستشرق فرنز روزنتال . **Frans Rosenthal** فهي ترجمة هزيلة وغير مستقيمة أظهرت روحه اليهودية من ناحية وجهله باللغة العربية من ناحية أخرى وكذلك ضعف قدرته العلمية^(١) وتعليم اللغة العربية في أقسام الدراسات الاستشراقية يقوم على أساس سيء وهي فكرة سائدة بين المستشرقين بأن اللغة العربية مجموعة من اللهجات الموزعة جغرافيا على البلاد العربية وهذه اللهجات في مجموعها تمثل اللغة العربية وقواعدها^(٢) فإذا كان الجهل باللغة العربية وتعلمها ظاهرة واضحة في الدراسات الاستشراقية فكيف يمكن أن تتأني الموضوعية في بحوثهم وأن يكون لهم منهج علمي في دراساتهم عن الاسلام وتراثه .

وأكثر من هذا فان المستشرقين يذهبون الى دراسة الأشياء بظواهرها دون التعمق أو التحقيق والبحث بصورة دقيقة عن حقيقة الأمور ، لذا فقد جاءت دراسات المستشرقين ضحلة ومضللة غير

(١) أنظر *Orientalism*, P. 20

(٢) أنظر نفسه *A Critical Analysis of Islamic Studies at North*

American University, P 4 P 6

موثوقة وخالية من الأمانة العلمية في النقل والتحليل والتعليل والشرح والتفسير. ^(١) ومع هذا فقد جعل المستشرقون من أنفسهم أئمة يهدون أقوامهم بما يكتبون عن الشرق وحضارته وعلى وجه الخصوص عن التراث الاسلامي . تلك الكتابات التي يصنعها أحد المفكرين المسلمين بقوله انها ظاهرة تكديس للمعلومات « الخالية من القيمة العلمية وهي ظاهرة العلمانية العقيمة المتسمة بالتبسيط غير النافع » . ^(٢) لهذا يمكننا أن نصف الدراسات الاستشراقية بأنها مجرد عملية نقل مشوه للنصوص وعرض مبتور للحقائق عن الاسلام ، وأن الدراسات الاستشراقية في تواطؤ تام مع الصهيونية والماسونية ، والاستعمار وجميع العقائد التي تستوي في عدائها للاسلام والمسلمين . والاستشراق بهذا يمكن تصويره كمسرحية درامية من صنع الخيال تمثل أمام نظر جمهور كبير من غير أمم الشعوب الاسلامية في المقام الأول للوصول الى نتائج معينة بقصد الحط من قيمة الاسلام وأنه دين غير متزن وأنه دين غير نافع ودين مختلف وبهذا فانه لا توجد أي موضوعية لدى المستشرقين كما تؤكد العبارة الآتية في وصف أحد المستشرقين :

« ان السمات العلمية التحليلية التي طرحها الكاتب على الاستشراق لا تعبر عن أعمال المستشرقين عموما ، وليست نتيجة لجهودهم المدرسية ، فان العلمية والموسوعية ، والنموذجية والقياسية والجامعية سمات يندر أن تجمع في بعضهم ، ان لم نقل يستحيل أن

(١) نفسه . *Orientalism*, P. 21

(٢) « انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث » ، ص ٢٩ - ٣١

تتوفر في أحدهم وان كان ظهر منهم أعلام لهم سمعتهم الثقافية المرموقة . » (١)

وان ما يؤكد أن العلمية والموسوعية والجامعية لا يمكن أن تتوفر في المستشرقين أننا لو بحثنا عن حقيقة الغالبية العظمى من المستشرقين لوجدنا أن أكثرهم ليسوا من أهل العلم أو المتخصصين في حقول الدراسات الانسانية من تاريخ ولغات وآداب ، بل ان معظمهم من المبشرين ، وموظفي الاستعمار كالضباط ، والأطباء وأصحاب الوظائف المدنية الرفيعة في دواوين الدول الغربية ممن عاشوا في الشرق أو في البلدان الاسلامية والعربية وتعلموا الشيء القليل من اللغة العربية اليومية . ونظرا لما توليه الدول الاستعمارية - خصوصا في العصر الحديث - من أهمية للدراسات الاستشراقية فقد انخرط معظم هؤلاء الناس في أقسام الدراسات الاستشراقية ونصبوا أنفسهم علماء وأساتذة جامعات وأنهم مصادر ومراجع موثوقة عن تراث الاسلام وحضارته أليس هذا عارا لا يليق بالعلم وطلابه وبأخلاقيات العلماء وأصول العلم؟ (٢)

واذا كان الاستشراق علما كما يحاول بعضهم أن يقول فأين شرائط المنهج العلمي القائمة على البحث المتجرد والانصاف؟ ومن الحق أن يقال أن المستشرق انما هو واحد من ثلاثة : متصل بالكنيسة ، أو بالاستعمار وفي كليهما لا يكون منصفًا فاذا كان غير

(١) « الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين » . ص ١٠

(٢) أنظر . *Orientalism*, P. 79

ذلك فان هناك من عجزه عن فهم البلاغة العربية ما يعوقه كثيرا عن
تقصي الحقائق والوصول اليها . « (١)

وما يمكن ملاحظته عن كتابات المستشرقين والمواضيع التي
يتناولونها بالبحث والدرس أنها مواضيع متكررة وتساعد على تحقيق
أهدافهم . وأن هذه الدراسات وما أولوها من اهتمام فيها من الدليل
الواضح على تحيز المستشرقين الى نوع معين من الدراسات دون أي
نوع آخر فهم يبحثون في الخلافات والمنازعات بين الطوائف والفرق
المختلفة مثل الكلامية ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والمعتلة والشيعة ،
ويدرسون حياة التصوف وأساطير الحلاج وغيرها ويتناولون الأمور
المتعلقة بالزندقة والشعر المبتذل في أعمال بشار ، وإبي نواس وما هو
مشهور عن ابن الراوندي (٢) كل هذه المواضيع لا تعنى شيئا بالنسبة
للمسلمين وعقيدة السلف والمستشرقين لا يتناولون القضايا التي
تتعلق بالتكامل الاجتماعي في الاسلام ، والنظم الاقتصادية والمالية
وما فيها من صدقات وزكاة وفيها من فوائد لمحاربة الفقر
واسعاد الانسان ، ليس ثمة مناقشة لأهمية الصوم وفوائده الصحية
والروحية ، ولو فرض وتناول أحد المستشرقين مثل هذه المباحث
لدس فيها سمومه ونال منها ما يمكن أن ينال العدو من عدوه . ان
البحث المتكامل الجوانب لجميع خصائص الظاهرة التي تحت
التحصيل هو المنهج العلمي السليم المتسم بالموضوعية وحيث إن

(١) « شبهات تغريب في غزو الفكر الاسلامي » . ص ٩١ - ٩٢

(٢) المصدر نفسه . ص ٨٩ .

المستشرقين يزعمون ذلك فان الاسلام وراثته كظاهرة تحت التحييص والبحث لا تأخذ صفة البحث المتكامل والموضوعية المنصفة في دراسات المستشرقين كما أوضحنا . فالاسلام وحضارته يدرس من زوايا وجوانب معينة دون أي جوانب أخرى وتحسب هذه الجوانب وكأنها الأصل في حقيقة الدعوة الاسلامية كقضايا التصوف والصوفية ، وأحوال الفرق .. الخ وهذه العقلية الغربية التي ينبثق عنها الاستشراق لا تقبل بأي حال من الأحوال التحلي بظاهرة الانصاف للعرب والمسلمين والقرآن الكريم ونبي الاسلام محمد ﷺ وصدق من قال :

« ان كراهية العرب والاسلام انما يرتضعها الأوربي مع ألبان أمه »^(١) فان هذا التعصب وهذه الكراهية للاسلام والجهل بلغة الاسلام ولغة القرآن وما شابه ذلك من أمور تمثل ماهية المنهج المتبع لدى المستشرقين :

حتى أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الاسلام . ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي . بل على أنه متهم يقف أمام قضائته . ان بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول اثبات الجريمة ، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصيا باجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع

(١) «شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي» ، ص ٩١ - ٩٢ .

شيء من الفتور « اعتبار الأسباب المخففة . وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى ، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصبها لرأيها . ويختار المستشرقون شهورهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون اليه مبدئيا » (١)

هذا قول مفكر أوربي أسلم دينه لله وقال الحق معترفا بمنهج المستشرقين وما يعملون به . وكفى بذلك شهادة تدل على حقيقة المستشرقين وما هم عليه .

والملاحظ ان المستشرقين أدركوا تحيزهم ضد الاسلام والمسلمين في كتاباتهم المختلفة وأصبح معروفا لدى الجميع ، فأعادوا النظر في هذه الطريقة والمنهج المتبع حتى غيروا هذه الفكرة السائدة وبلغتوا الأنظار الى وجهة غير الوجهة الأولى فجاءوا يدافعون عن ذلك في مثل ما جاء في قول المستشرق القسيس وات الذي يقول :

ان الأوربيين في عصر النهضة كان لا يزال لديهم احساس بالنقص بالنسبة للمسلمين ولذلك عمد مفكروهم الى تشويه حقائق الاسلام فعرضوا الاسلام وتاريخ المسلمين في صورة منفرة ، ولكننا معشر الغربيين في القرن العشرين لم تعد تسيطر علينا

(١) « الاسلام على مفترق الطرق » ، ص ٥٣

عقدة النقص كما كان الحال في عصر النهضة وذلك بعد أن انتقل زمام السيادة الى أوروبا وأصبحت لها السيطرة والغلبة ولذا أصبحنا الآن لا نجد حرجا في ذكر الحقائق دون تحريف وبالتالي ظهر الانصاف والموضوعية فيما نكتب عن الاسلام والمسلمين « هذا ما يقوله هذا المستشرق في محاضرة ألقاها في جامعة الكويت ^(١) ولكن لنعلم أن القصد من هذا القول ومثله هو أن يوهم المسلمين بأن أهداف الاستشراق قد تغيرت وأن نظرة المستشرقين الى الاسلام أصبحت نظرة تقدير وانصاف . وهنا نسأل ان كان هذا المستشرق صادقا فيما يقول ويزعم فلماذا لا يعتنق الاسلام ويبرهن على صدق قوله ؟ ولكن قوله خداع وتضليل وقد كنت أحضر اللقاء العاشر للمجمع الاستشراقي والذي عقد في جامعة ادنبرا ببريطانيا فقد تحدث عن السنة والروايات وعن تاريخ ابن اسحاق وقال كلاما لا يليق عن الاسلام والمسلمين لا يليق بحال من الأحوال . ^(٢)

(١) « أضواء على الاستشراق » . ص ١١

(٢) ان هذا اللقاء وأمثاله لا يسمح فيه عادة بالحضور بناء على لائحة المجمع الا للأعضاء المسجلين رسميا في المجمع وقد رغبت مجموعة من الاخوة الطلاب والدارسين من أبناء المسلمين بجامعة ادنبرا وكنت واحدا منهم حضور جلسات هذا المؤتمر والذي عقد في سبتمبر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م لكي نرى ماذا يجري فيه - وقت بمقابلة البروفسور وات لأستاذته بالحضور لي ولزملائي باعتبارهما رئيسا للمؤتمر فاعتذر بادي الأمر ثم قال دعوني أفكر وسأترك لكم جوابا عند السكرتيرة ويمكنكم الاتصال بها بعد الظهر لتعرفوا ما قررت . وبعد أن اتصلنا بالسكرتيرة أفادت بأن البرفسور قد وافق شريطة أن ندفع رسما للدخول لا أذكر على وجه التحديد هل هو خمسة أم عشرة جنيهات . ولعله كان يقصد أن يجعل ذلك عقبة في سبيل حضورنا ولكن وفقنا الله ودفعنا الرسوم وحضرنا المؤتمر لترى من المهازل ما لا يمكن ذكره .

ولو سلمنا بصحة ما قاله هذا المستشرق فإن آداب العلم والمعرفة وأخلاقيات المتعلمين لابد وأن تمنع الانسان أن يقول ما قاله هذا المستشرق عن سنة رسول الله ﷺ في مثل هذا الجمع وغيره ولكن اذا لم تستح فأصنع ما شئت . نعم ان المستشرقين أحسوا بعدم موضوعيتهم وتحيزهم فقد لجأوا الى خلق جو من الاطمئنان بين المسلمين فأدعوا أنهم على غير حالهم الأول ، وقد أصبحوا نزهي الفكر وروجوا لدعايات يقصد بها خلق جو من التفاهم بين المسلمين والمستشرقين لاقامة بعض المحاملات الاجتماعية والعلمية لتحقيق أهداف بعيدة من شأنها الاطاحة بالاسلام .^(١) وفي هذا الشأن يقول أحد المفكرين :

« والآن نستطيع القول بأن هذا الميدان بالذات كان التربة الخصبة التي وجدها الأدب الاستشراقي ، من النوع الذي يتصف بالمدح والتعجيد ، ليزرع فيها كل المخدرات التي يتقبلها بكل شغف مجتمعنا لأنها تخدر ضميره وتسليه . »^(٢) لهذا فعلينا أن نعلم باللاموضوعية ولا انصاف عند المستشرقين مهما عملوا وقالوا في تمجيد الاسلام ومدحه اذ أنهم يتخذون من هذا الانصاف الجزئي ان وجد مدخلا للطعن في الدعوة الاسلامية وفي نبوته ﷺ وفي حقيقة القرآن الكريم ، وفي العبارة الآتية ما يشير الى حقيقة المستشرقين في العصر الحديث :

« والمفكرون المسلمون يعرفون جميعا أنه في العقدين الأخيرين

(١) « الاسلام والحضارة الغربية » ، ص ١١٦ - ١١٧

(٢) « انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث » ، ص ٢٩ - ٣٠

قد تراجع الاستشراق عن أسلوبه القديم المباشر واستعمل أسلوبا أشد مكررا ، وأسوأ سبيلا ، وهو محاولة الدخول في الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخذع القارئ ويكسب ثقته ، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفيفة متتالية في اطار هذا التقدير العام الكاذب ، ولقد تنبه كثير من الباحثين المسلمين اليقظين وأشاروا الى خطورته وحذروا من الانخداع له . « (١)

وقبل أن نختم حديثنا هذا عن عدم موضوعية المستشرقين نود أن نورد بعض النماذج التي تدل على تخطب المستشرقين وجهلهم بالاسلام وراثته وتاريخه ولغته ، فمثلا كتب المستشرق الانجليزي مرجليوث Margoliouth كتابا عن النبي محمد ﷺ وجاء فيه بكل باطل وغريب عنه ﷺ وأهم ما جاء فيه هو التشكيك في نسبه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وأنه غير معروف النسب ، ولكنه من حين لآخر في كتابه هذا يذكر أنه ابن عم علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فكيف لنا الأخذ بقول هذا المفتري . ومثال آخر أقوال المستشرق الألماني بيكر عن التاريخ الاسلامي وكتابات العرب فيرى أن كتابات المسلمين عن الفتوحات الاسلامية كله تلفيق وأكاذيب وأغلاط ، ولكن المستشرق الايطالي نللينو يأتي ويقول ان العرب والمسلمين بلغوا من الدقة في التاريخ وكتابته مبلغا اتخذوا فيه طرقا بالغة الحيلة . (٢)

ان الأمثلة على عدم موضوعية المستشرقين وتخطبهم وجهلهم

(١) « شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي » : ص ٩٢

(٢) « الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين » ، ص ١٧٥ - ١٧٦

وكثرة تناقضات أبحاثهم كثيرة جدا فهم ليسوا متفقين على منهج واحد في طريقة عرض الحقائق دون وجود تعارض ولكن اتفاقهم الأول والأخير هو النيل من الاسلام بشتى الوسائل والطرق . وللقارئ أن يبحث عن أمثلة كثيرة في عدم موضوعية المستشرقين في مؤلفات كبار المفكرين المسلمين ممن لهم الفضل في هذا المجال أمثال الشهيد سيد قطب ، والدكتور مصطفى السباعي ، والشيخ محمد الغزالي والأستاذ محمد قطب والمفكر الاسلامي ابو الحسن علي الحسيني الندوي وغيرهم كثيرون لهذا نكتفي بما ذكرناه في هذا البحث ونرجو أن يكون قد ألقى الضوء على مناهج المستشرقين وطرقهم المتبعة .

الفصل السادس

« حاضر الدراسات الاستشرافية »

ان الحديث عن حاضر الدراسات الاستشراقية ليس من السهولة بمكان أن يحرص في الصفحات القلائل التي سيتطالع عليها القارئ في هذا البحث بل ان هذا الموضوع جدير بأن يكون بحثا كاملا لدراسة مستفيضة ومستقلة في حد ذاتها لما ينطوي عليه الكثير من الأفكار والآراء والأقوال ولما يمكن كشفه مما يجري في حقل الدراسات الاستشراقية في عصرنا وما يهدف اليه خصوصا في ظل الظروف السياسية والعسكرية التي يعيشها العالم الانساني ككل . ولكننا رأينا اكمالا لجملة المقتطفات السريعة في هذه الدراسة عن الاستشراق أن نورد فضلا عن حاضر الدراسات الاستشراقية لنطلع القارئ على جوانب أخرى للاستشراق في حاضره كما عاشه في أمسه من خلال التاريخ .

ومن المعروف أن المستشرقين يعتمدون في تحقيق أهدافهم وتسيير نشاطاتهم على ما يحدونه من التمويل الكافي للمؤسسات الدينية والسياسية والتجارية في الغرب . ولقد كان ملوك وأمراء أوروبا وأثريا أمريكا ينفقون الغالي والنفيس في سبيل النهوض بالدراسات الاستشراقية المنح الدراسية للمساهمة في هذا المضمار . وهذا ما يقرره أحد المستشرقين في قوله :

« الاستشراق في ألمانيا حاليا وفي العالم الأوربي الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع ولا حاجة بها ، وإن قل عدد المشتغلين بها ، الى البرهنة على أنها مادة علمية جديرة بالوجود ، فقد تم لها هذا ، وتوشك أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسى رسمي يشغله أستاذ ، ثم هناك عدد عظيم من وظائف المدرسين والمعيدين في تخصص الاستشراق ، الى جانب الأساتذة ، ويعنى هذا أن الناشئة من المستشرقين يلقون ما يؤمن مستقبلهم من الناحية المالية نوعا ما . ونحن جميعا التمتعون بهذه النظم ، نعترف بأن المجتمع ممثلا في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الامكانيات اللازمة لاجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا المضمار . ويسرنا أن نرى كل عام أفرادا من الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية يدفعهم اهتمامهم بالمادة وتخفزههم موهبتهم اللغوية الى الاتجاه لدراسة العلوم العربية أو الاسلامية أو أي فرع من أفرع الاستشراق الأخرى »^(١)

إن التحويل المستمر لحركة الاستشراق وإن قل عدد المشتغلين في هذا الحقل هو الباعث على استمرارية هذه الحركة منذ ماضيها وحتى حاضرها الذي سنتحدث عنه هنا بشيء من الإيجاز . ونحن عندما نتحدثنا عن تعريف الاستشراق قلنا بأنه مصطلح عام لحركة فكرية تعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ، ودراسة

(١) « الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية » . ص ١٢

الاسلام والحضارة الاسلامية بصفة خاصة . هذا هو المفهوم العام للاستشراق في العصور القديمة . ولكن عندما نناقش حاضر الدراسات الاستشرافية في العصر الاسلامي ، ودراسة الاسلام والمسلمين أكثر من أي جانب آخر وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ بدأ التركيز على المسلمين والعرب وخلق جو متوتر باصطناع مشكلة الشرق الأوسط والأزمة القائمة بين العرب واليهود ومن نشاط حركة الاستشراق في الوقت الحاضر هو تدخلها الدائم بصورة أو بأخرى في سياسة الحكومات لقتل الحركات الاصلاحية في الاسلام كما هو حاصل اليوم في كثير من البلاد الاسلامية فالعمل لقتل الروح الاسلامية والدعوة الاسلامية اما أن يكون داخليا كما هو في بعض الدول العربية أو خارجيا كتدخل القوى الاستعمارية في أفغانستان . ولقد تركزت جهود المستشرقين على الاسلام وحضارته في الوقت الحاضر دون الاهتمام بحضارات الأمم والشعوب الشرقية الأخرى لأن الغرب ضمن واطمأن الى ما وصلت اليه هذه الشعوب من تدهور وانحراف ، وأن حضارات تلك الأمم وتراثها لا يشكل خطرا كبيرا على الحضارة الغربية كما هو الحال بالنسبة للاسلام .^(١)

لقد بينا فيما سبق مدى الاهتمام بالدراسات الاستشرافية في الغرب وتحويلها ماديا ومعنويا الأمر الذي جعل هذا الحقل في حالة حركة دائمة ومستمرة فلقد حاول المستشرقون بكل ما توفر لهم من

(١) « الاسلام والحضارة الغربية » ، ص ١٠٨

وسائل وامكانيات النيل من الاسلام وتراثه من قرآن ، وسنة ، ومصادر تشريعية .. الخ كل شيء فيه بما يكفي لصد الناس عن الاقبال على الاسلام بل وجعل المسلمين أنفسهم يشكون في حقيقة الدين الاسلامي فيرتدون . ومع بداية هذا القرن نلاحظ تحولا في اتجاهات المستشرقين نحو الدراسات الاسلامية - وهذا التحول يتجه نحو الدراسات الخاصة بعلم الاجتماع ، وعلوم التربية والنواحي الاقتصادية وهي التي تمثل مشكلات الحياة العامة المرتبطة بتكوين الأسرة وتنشئة الأطفال تعليميا وتربويا والحاجة الاقتصادية للنهوض بمتطلبات الحياة مما يعانيه العالم من الخناقات الاقتصادية وتدهور الانتاج العام للأغذية في العالم بأسره . والقصد من هذا الاتجاه هو التعرف على خصائص الشعوب الاسلامية في الوقت الحاضر وما تعيشه من وقائع ، وذلك ليتمكن المفكرون من الوصول الى أفضل الوسائل التي تساعد على التعامل مع الشعوب الاسلامية والذي من شأنه أن يخدم المصالح الاستعمارية ، وبالتالي الاجهاز على الاسلام والمسلمين . ان تحول الدراسات الاستشراقية لدراسة أحوال المسلم المعاصر يهدف الى رصد تطوره ونموه في ظل التقدم الذي يسود جميع أنحاء العالم والأهتمام بالمسلم المعاصر في الدراسات الاستشراقية كما نلاحظه في كتابات جب Gibbi والذي يهدف الى تغريب المجتمعات الاسلامية وتفتيت الوحدة الاسلامية لذلك شملت الدراسات الاستشراقية دراسة السلوك الفردي ، ونظريات علم النفس المختلفة ونظريات الآداب الاجتماعية ، والفنون ، والآداب . ولقد عقدت الكثير من الندوات والمؤتمرات واللقاءات

الكبرى بين المستشرقين في هذا الشأن وعנית بدراسة الشئون الثقافية والاجتماعية في البلدان الاسلامية بقصد ايجاد نوع من التفاعل بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية التي اهتمت بتنمية روح القومية والاعتزاز بها بين أفراد الشعوب الاسلامية^(١). واستبدال الرابطة القومية بالرابطة الدينية وهذا ما نراه وسبق لنا ذكره في آراء أتباع المستشرقين الذين يرون أن الوحدة الدينية ليست طريقة لتقوية الرابطة بين الشعوب كما يكون الحال حين يربط كل شعب بوطنه^(٢) وبهذا الفكر يعمل المستشرقون ومن شايعهم لاثبات حتمية تفاعل أبناء الشعوب الاسلامية مع الحضارة الغربية زاعمين أن التخلف الموجود في البلاد الاسلامية انما سببه الاسلام كما يقول مالك بن نبي فيما يلي :

« واذا أردنا أن نخص احدى هاتين الطائفتين بالذكر ، نقول أن بعض هؤلاء المشارقة المتعلمين للمستشرقين يخفون عملهم التخريبي ضد الاسلام ، بايعاز واضح من أوساط استعمارية ، تحت رداء تقدمية جوفاء تحاول سلب الاسلام من كل قيمة حضارية ، بل تنسب له حالة التخلف الراهنة في العالم الاسلامي . »^(٣)

فالدراسات الاستشراقية الحديثة تسعى الى بث الشعارات البراقة التي تأخذ النفس وتؤثر فيها فالى جانب شعارات القومية هناك

(١) المصدر السابق . ص ١١٧

(٢) « مستقبل الثقافة في مصر » . ص ٥٢

(٣) « اتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث » . ص ٣٠

شعارات الحرية الفكرية ، والتحرر ، والديمقراطية ، وهذه الحرية الفكرية يقصد بها التحرر من أي التزامات وقوانين سماوية ونظم اجتماعية فاضلة بحيث تنصرف الدولة عن حماية الشرائع الدينية في جانبيها الفكري والسلوكي^(١) . ان حاضر الدراسات الاستشرقية في الوقت الراهن يسعى جاهدا الى ما يمكننا أن نسميه التعديل الثقافي للأمم وشعوب البلدان الاسلامية ، بل ويسعى الى تعديل النظم السياسية لادخال الخطط السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية التي تحقق أهداف الاستعمار ليتمكن بعد ذلك اخضاع البلاد الاسلامية لهيمنة الغرب وسلطانه وبذلك تكون الجولة والصولة للغرب وأتباعه . بل والأكثر من ذلك فان المستشرقين في الوقت الحاضر يذهبون الى اصدار الكتب والمقالات التي تعنى بقضايا الساعة والتي تتمثل في مشكلة الشرق الأوسط وفلسطين والجميع يعلم أنه ليس من حق أي مسلم أن يفرط في أولى القبلتين وثالث الحرمين وتركه في أيدي اليهود . والمستشرقين أنفسهم يعلمون هذا ، ولكن حتى يرغمنا المستعمر على الاعتراف بيهودية القدس وتبعتها للصهيونية وهيمنة اسرائيل ، فان المستشرقين يكتبون في هذه القضايا على أن العرب والمسلمين من الأمم التي لا تحب السلام بل هي تحب الحرب وبذلك يمكن القول بأن الاسلام ليس دن سلام . فن بين هذه الكتب والمقالات ما كتبه الأمريكي جل كارل ألورى

(١) « الاسلام والحضارة الغربية » ، ص ١١٦ - ١٢٦

هو كتاب يتعلق بالاتجاهات نحو اقامة دول يهودية في العالم العربي .

٢ - *Images of Middle East conflict.*

هو كتاب صور عن مشكلة الشرق الأوسط . ولقد كتب هذا المؤلف مقالا بعنوان « هل يريد العرب السلام »^(١) وفي جميع كتاباته هذه يؤكد حق وجود اسرائيل في أرض الميعاد .

ولهدم الثقافة الاسلامية فان المستشرقين اتخذوا وسائل عديدة لتزييف التاريخ وتصوير حملات الباطنية وحملات القرامطة على أنها حركات ثورية اصلاحية كما هو ملاحظ في الثورة الايرانية حاليا وما تهدد به سوء وخطر . وهذا ما يساعد على القضاء على الصحوة الاسلامية بما توجد من خلافات في صفوف المسلمين بسبب مناداة أهل الباطل بصحة حركات القرامطة والباطنية فتثور نائرة أهل الحق فيتصدى الحاكم لهم ويتخذ الاجراءات العنيفة في قمع الحق وأهله بما يذيعه من تدليس وتشويه لحقيقة الصحوة الاسلامية وبذلك تكون الغلبة لظهور القرامطة والباطنية .^(٢) وللهنوض بمثل هذه الحركات العقائدية الفاسدة فلقد سخرت أقلام المرتزقة وأذبال الاستشراق وأتباعه لتأليف الكتب وكتابة المقالات التي تركزت على وصف الحركات السيئة في صورة جيدة وأنها حركات تقدمية . فتي كانت حركة القرامطة حركة تقدمية وهي تخلو من الطابع الانساني ناهيك عن الطابع الاسلامي اذ أنه لا صلة لها بالدين الاسلامي لأنها لم تحقق المنهج الاسلامي في الحكم وانما حققت مناهج

(١) انظر : *Orientalism*, P-307

(٢) « شهاب التغريب في غزو الفكر الاسلامي » . ص ٣٩

الشيوعية في المال والعرض^(١) ولقد كانت حركة متصلة بالباطنية الاجتماعية ذات الاتجاهات الطبقة في المجتمع (سادة وعبيد) بل وهناك صلة قوية بين القرامطة والصليبيين^(٢) . ونحن نعرف أن الصليبيين والحروب الصليبية هي الأساس الأول لقيام الاستشراق والحركة الاستشراقية . مرة أخرى نقول بأن الدراسات الاستشراقية اليوم تركز على أهمية تطبيع العلاقات والتزواج بين المسلمين وغيرهم ولهذا فإن كتابات المستشرقين كما أشرنا تهدف الى تغريب المجتمعات الاسلامية عن طريق التبعية وهي أن يتبع المسلمون الغرب في كل حركاته وسكناته ، من خلال دعوات تزين الباطل ودعوات تضع الفساد موضع الحق والصلاح والاصلاح ، وتعمل على احياء الجاهلية والوثنية وهذا ما قاله القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَى كُفَرٍ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾^(٣)

وفي قوله سبحانه وتعالى :

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ . الْآيَةُ﴾^(٤)

(١) المصدر السابق . ص ٤٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١

(٣) آل عمران . الآيات ١٠٠ - ١٠١

(٤) البقرة . الآية ١٠٩

ان الاستشراق في الوقت الحاضر يحاول بكل الطرق وشتى الوسائل التأكيد على عقدة النقص لدى المسلم وتهديده وتخويفه من الموت والفقر والارهاب . لقد جعل المستشرقون عقدة التخلف والنقص هي الأساس الأول لهدم الشخصية المسلمة وأن الفقر، والمنازعات السياسية ، والأزمات الاقتصادية في البلاد المسلمة إنما تعود الى جمود الاسلام لذلك فانه لا نصيب للمسلمين في تشييد صروح العلم والتقدم والمظاهر الحضارية المختلفة، بهذا يمكن الدخول الى قلوب وعقول ضعاف النفوس من المسلمين وخصوصا الفقراء والمحتاجين منهم للتسليم بأهمية الغرب والحضارة الغربية والمطالبة بضرورة التعايش والتفاعل مع النصارى واليهود لكن ليعلم المسلم أن اليأس والقنوط ليس من صفات المسلم المؤمن وعلينا أن نواجه مثل هذا الخطر بأن نتمثل قوله سبحانه وتعالى :

﴿الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ (١)

تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلا من شريعة القرآن وأن على المسلمين أن يستفيدوا من التشريعات الغربية في الانظمة المالية والاقتصادية والمعاملات البنكية ، ومآل ذلك كله الربا الذي يؤدي

(١) آل عمران . الآيات ١٧٣ - ١٧٤

الى التضخم المالي والاختناقات الاقتصادية . كما تدعو الدراسات الاستشراقية في الوقت الحاضر الى الأخذ بالأنظمة والقوانين العربية فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية في قضايا الأسرة وتربية الأطفال ، والقضية الكبرى في هذا هي قضية تعدد الزوجات واعتبار ذلك شيئا يتنافى مع المدنية والتهديب وهو نوع من الشهوة الحيوانية^(١) ان دعوة المستشرقين هذه للمسلمين أن يتخذوا القوانين والتشريعات الغربية للحياة الأمثل هي من أخفي الوسائل وأمكرها التي يفرضونها لتطوير الفكر الاسلامي عن طريق التلفيق الفقهي المبني على الاجتهاد الزائف والأحكام المغلوطة والتي تتفق مع الفكر العلماني والفكر السائد في الغرب^(٢) .

لقد ركزت الدراسات الاستشراقية الحديثة على دراسة الأدب العربي الحديث وتحليله من خلال نظريات الأدب المكشوف وأدب الجنس فيما تمثله التيارات الأدبية المختلفة مثل المذهب الواقعي أو المذهب الوجودي وغيرها فمثلا المذهب الواقعي يعتمد على تصوير الحياة الاجتماعية للانسان في لحظات ضعفها وهبوطها وفي نواحي شذوذها واعتبار ذلك أدبا موضوعيا والقصد من هذا التحليل الأدبي في كتابات المستشرقين هو التأثير على المسلمين بأهمية نظرية فرويد في الجنس وما يتبع ذلك من تأثير في أخلاق وسلوك المسلمين . والاهتمام بدراسة الأدب العربي وتحليله من خلال نظريات الأدب المكشوف انما هو وسيلة لتشجيع أعلام الأدباء

(١) « الاسلام والحضارة الغربية » ، ص ١٨٢

(٢) نفسه . ص ١٢٩

والكتاب لتقليد الغرب في الكتابة من خلال تلك التيارات الأدبية لتروج في أسواق الكتب في البلدان الاسلامية وتؤثر فكريا على المسلمين . ولقد وجدت هذه التأثيرات مجالها في كتابات الكثير من المؤلفين والكتاب المنحرفين فكريا أمثال نجيب محفوظ ، ويوسف السباعي ، وعبد الرحمن الشراقوي ، والطيب صالح ، وفتحي غانم ، وغيرهم كثيرين من الذين كتبوا ويكتبون في مجالات الأدب المكشوف وأدب الجنس والأدب الذي ينادي بالفلسفة الوجودية . والمستشرقون في معالجتهم لهذه القضايا الأدبية في الأدب العربي الحديث انما يهدفون الى القول بأنه لا دخل للأدب بالدين والأخلاق وبذلك ينفذ المستشرقون أغراضهم بتقديم النظريات الالحادية والنقدية المختلفة التي تعتمد على انكار الروح والقيم وتتعامل مع الانسان وكأنه مادة وجسد لا روح له ولا عقل ولا عاطفة^(١) .

وتتجه الدراسات الاستشراقية الحديثة الى التأثيرات الفكرية بين أبناء المسلمين بما تقدمه لهم من منح دراسية للدراسة في الجامعات الغربية في الوقت التي ترفض فيه الدول الاسلامية قبول الطلاب من أبناء المسلمين في جامعاتها لأسباب واهية منها عدم توفر المقاعد الدراسية وما أشبه ذلك ، بل الأدهي من ذلك أن يطلق على السوري أو التونسي وهو مسلم عربي كلمة أجنبي في بلد عربي واسلامي غير بلده أين قوله سبحانه وتعالى :

(١) « شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي » ، ص ٨٢ - ٨٣

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَرْحَمُونَ﴾^(١)

وقوله جلا وعلا :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا
وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .﴾^(٢)

لقد تنبه المشتغلون بالاستشراق الى هذه الظاهرة فجعلوا
يستقطبون أبناء المسلمين في جامعات الغرب لينهلوا من معارف
الفساد التي يوجههم اليها الغرب ويعيش في البيئة الغربية بما يؤمن
لهم من المنح الدراسية وبذلك يكون قد تحقق للغرب تحطيم
الشخصية الاسلامية . وهنا أذكر حادثة ما عاصرتها ، وعابنتها فلقد
جاء طالب يحمل الجنسية الأردنية وهو من أصل فلسطيني يدرس
في جامعة ادنبرا على حسابه الخاص وفي العام الثاني من دراسته
نفدت جميع أمواله التي جمعها من التدريس في المدارس قبل
التحاقه ببرنامج الدراسات العليا . فطرق أبواب الخير لدى سفارات
الدول الاسلامية فلم يجد ردا على ذلك فتقدم الى ادارة المنح
الدراسية بالجامعة وطلبت منه أن يأتي بتركية من مشرفه الذي

(١) الحجرات ، الآية ١٠

(٢) آل عمران ، الآيات ١٠٣ - ١٠٤

يشرف على دراسته ولم يستطع أولاً لأن المشرف كان يريد من الطالب أن يقطع صلته بالجماعة الاسلامية والنشاطات الاسلامية التي كان يحضرها معنا . ويبدو أن هذا الشخص أقنع بذلك في سبيل التخلص من وورطته وخصوصاً أنه كان يعول أسرة كبيرة كانت معه هناك ونفذ ما طلب منه وقصر نشاطه على حضور صلاة الجمعة فقط ، بل الأكثر من ذلك كان يدافع عن آراء المستشرقين وأقوالهم في الندوات العلمية التي تعقد . كيف تحول هذا الرجل ببساطة ؟ ان الاستشراق يسعى جاهدا لاذابة الشخصية الاسلامية عن الطريق واستغلال حاجة الافراد الى العلم وحاجاتهم الى المادة . على أي حال لقد ناقشنا بعض هذه الأمور وغيرها أثناء حديثنا عن أهداف الاستشراق وقبل أن ننهي من هذا المبحث نود أن نعرض الى بعض المسائل التي تواجه الاستشراق في الوقت الحاضر .

أشرنا في بداية حديثنا عن حاضر الدراسات الاستشراقية الى أن الاستشراق كان وما زال يعمل بكل حيوية في مجاله وذلك بسبب الدعم المادي والمعنوي الذي يجده المستشرقون من الحكومات والمجالس النيابية . ولكن لما كان التضخم الاقتصادي وانتشار البطالة تسودان المجتمعات الغربية منذ بداية السبعينات وخصوصاً في السنوات الأخيرة ، وقد أدى هذا كله الى نقص نسبة الطلاب في الجامعات بسبب انخفاض ميزانية كل جامعة وارتفاع أجور الدراسة فإن هذا الأمر لم يؤثر على المجالات العلمية للأقسام المختلفة في الجامعات فحسب ، بل أثر كذلك على أقسام الدراسات الاستشراقية في معظم الجامعات الغربية مما أدى الى اقفال هذه

الأقسام في بعض الجامعات وأضرب المثل على ذلك بقسم الدراسات الاستشرافية للمرحلة الجامعية في جامعة لانكستر ، وقسم الدراسات التركية بجامعة ادنبرا في بريطانيا وضمانا لاستمرار الدراسات الاستشرافية فقد لجأت بعض الجامعات الغربية الى طلب المعونات من الدول الاسلامية في منطقة الخليج ، التي بادرت بكل أسف إلى مساعدة هذه الأقسام بحجة التعاون الثقافي ، فقد تم إنشاء معهد بأكمله في جامعة اكستر

EXTER البريطانية ، وقد تم تزويد المعهد بمكتبة كلفت الملايين من الجنيهات الاسترلينية كما قدمت وظائف متعددة لمحاضرين وأساتذة في هذه الأقسام تدفع مرتباتهم وأجورهم من أموال اسلامية كما هو الحال بجامعة ادنبرا ، ونيوكاسل ، وجامعة لانكستر ، في بريطانيا ، وبعض المعونات المالية التي قدمت بملايين الدولارات لجامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأمريكية كذلك .

وما دام الأمر كذلك وأن الدراسات الاستشرافية أصبحت موقف حرج وحالة لا تسمح بالاستمرار فلماذا نمد يد العون نحن المسلمين للعدو ليشد وطأته علينا ؟ نعم ان الدراسات الاستشرافية لا بد لها وأن تنتهي لبطلان حقيقتها وأنها مبنية على زيف لا بد وأن يظهر يوما ما . خصوصا وأن الشعور المادي يسيطر على عقول الغربيين ومنهم المستشرقون فالمادة أصبحت هم الجميع وشغلهم الشاغل . فعلينا نحن المسلمين أن نستفيد من هذه الظروف التي أصابت الحركة الاستشرافية بعدم تقديم أي معونات مالية باسم الصداقة والتعاون الثقافي لأن الأصل في الشريعة الاسلامية أن

تكون المحبة ، والصدقة لله فالحب والكره لله والا فالأصدقاء والأخلاء أعداء لبعضهم كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين﴾^(١)

والذي يكفل القضاء على هذه الحركة في رأينا عدة عوامل من ذلك مثلا توجيه حملات مركزة من النقد للاستشراق والمستشرقين ودراساتهم وأبحاثهم واطهار مساوئهم وحقدهم وسوء نواياهم كما فعل الدكتور الطيباوي^(٢) في كتابه عن المستشرقين الناطقين باللغة الانجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الاسلام والقومية العربية ، وكذلك كتاب ادوارد سعيد الذي سماه الاستشراق . ومما يساعد في القضاء على الحركة الاستشراقية في الوقت الحاضر هو سوء المستوى العلمي وضعفه بين المستشرقين المحدثين لجهلهم التام ، فمن ذلك يمكن للدول الاسلامية انشاء هيئات علمية متخصصة في فروع المعرفة المختلفة لتابعة الاستشراق والمستشرقين والرد على مفترياتهم وترجمة ما يكتبون واطهار حقيقتهم وتمحيص أبحاثهم وقياسها بالمعيار الموضوعي والمنهج العلمي . ولا يكفي الكتابة عن الاستشراق باللغة العربية بل الكتابة عنه بجميع اللغات الممكنة لايجاد نوع من التوازن بين ما يكتبه المستشرقون وبين ما يكتبه المسلمون من دحض

(١) الزخرف . الآية ٦٧

(٢) A. L. Tibwai, *English Speaking Orientalists: A critique of their approach to Islam and Arab Nationalism.*

ويقع الكتاب في جزئين ، قام بترجمة الجزء الأول الدكتور محمد البهي واحقه في آخر كتابه « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » الطبعة الثامنة القاهرة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

مفتريات المستشرقين وآرائهم . وهذا الأمر يساعد على القضاء على الحركة الاستشراقية خصوصا اذا ما كان العمل خالصا لوجهه الكريم سبحانه وتعالى ، ودافعا لنشر الدعوة الاسلامية دعوة الحق واذا ما عرفنا أن الغرب يخصص الكثير من اللجان والهيئات المختلفة لدراسة أحوال المسلمين اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، وفكريا لرصد حركة المسلمين . وحركة الدعوة الاسلامية والتصدي لها وهذا ما نجده مثلا في الادارة الأمريكية التي خصصت أقساما ادارية تعنى بدراسة الشرق الأوسط لتقديم التقارير الدورية للحكام الذين يسعون الى تدمير الاسلام والمسلمين تحت ستار الصداقة الأمريكية العربية أو تحت ستار حماية المصالح وغير ذلك ، ولنا مثال آخر في الادارة العامة للاستخبارات المركزية الأمريكية CIA . فعلى نحن المسلمين أن ننظر الى الاستشراق بالنظرة التي يستحقها فلا نقدم لهم الاحترام والتقدير والاعجاب لأن ذلك يبعث في المستشرقين روح التعالي والتكبر والاستعلاء ، فعلى أن نعرف المستشرقين بقدرهم وأنهم الى الجهل هم أقرب منه الى العلم والى العداء هم أقرب منه الى الصداقة ، وعلى أن نسعى جاهدين بايقاف البعثات الدراسية للخارج خصوصا ما يتصل منها بالدراسات الاسلامية واللغة العربية والتاريخ الاسلامي وجميع فنون العلم والمعرفة التي يمكننا توفيرها في بلادنا .

وعموما فان الاستشراق ليس حركة أكاديمية علمية توجد في الجامعات فحسب ، بل هو حركة استعمارية فكرية تبشيرية تهدف الى هدم الحضارة الاسلامية وتراث الاسلام واللغة العربية ، وتعمل

على تغريب المسلمين واذابة الشخصية الاسلامية في قشور الحضارة الغربية البالية البائسة بقصد طبع البلاد الاسلامية وصبغها بصبغة غربية لادينية تخضع لنظم الغرب في المجالات الاقتصادية القائمة على الربا ، وفي المجالات الاجتماعية التي تؤدي الى تفكك الأسرة وفي النظم السياسية التي تنادي بالرأسمالية والشيوعية والعلمانية .

الفصل السابع

« الاسلام في الآداب الغربية »

رأينا أن نجعل الفصل الأخير من هذه الدراسة عرضاً للدراسات الاستشرافية في بعض الآداب الغربية عن الاسلام ، ذلك أنه يجب على كل مسلم متخصص في فن من الفنون (العقيدة والتاريخ ، الأدب ، السياسة ، الاقتصاد .. الخ) أن يبحث وينقب عن كتابات الغربيين عن الاسلام في مجال تخصصه . ذلك أن أعداء الاسلام في الغرب يرون أنه من واجب كل مواطن وكل فرد أوتي من القدرة والطاقة أن يقول شيئاً عن الاسلام ، عليه ألا يتردد في أن يفعل ذلك والا أصبح مقصراً . فثلاً المتخصص في الاقتصاد يتحدث عن النظام المالي والاقتصادي في الاسلام ويحاول أن يعيب في ذلك ما أستطاع بكل ما يملكه عليه جهله وهواه ، وكذا الحال بالنسبة للطبيب والأديب وغيرهم .

وفيما يلاحظ على الأدب الغربي أن عدداً لا بأس به من الأدباء الأوروبيين تعرضوا في كتاباتهم الأدبية عن الاسلام ، لأنه كما أشرنا في خلال حديثنا عن تعريف الاستشراق الى أنه يعد مصطلحاً له فنونه وأهدافه بين الغربيين ، اذا أنه دخل الكثير من كتب العلم وفنونه وآدابه . فكما أن الكتابة عن الشرق والاسلام وحضارته

شمل كتب السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، وكتب الرحلات .
فان الآداب الغربية بالمثل لم تخل من الاهتمام بالشرق عموما
وبالاسلام ورسوله ﷺ خصوصا اذ نجد ذلك في كتب الشعر ،
والقصة ، والمسرحية . وفي هذا الفصل سنعرض لبعض النماذج
الأدبية التي تحدثت عن الاسلام وعن الرسول ﷺ بذكر أسماء
المؤلفين وأسماء كتبهم مع تعليقات سريعة ما أمكن لأن القصد هو
اعطاء صورة جديد من صور الدراسات الاستشرافية الموجودة في
كتب الأدب الغربي .

عندما تكلمنا عن تاريخ الاستشراق وأسباب ظهوره والدعوة
الى الاهتمام بهذه الحركة ، أشرنا الى أن السبب الرئيسى في ذلك هو
الحروب الصليبية فمن المعروف أن أوروبا عندما منيت بالخسارة
والهزيمة في معظم حملاتها الصليبية على البلاد المقدسة ، امتلأت
نفوس اليهود والنصارى حقدا على الاسلام والمسلمين ، فكانت
هناك دعوة الكنيسة التى نادى بضرورة الأخذ بالثار والتنكيل
بالاسلام والمسلمين بشتى الوسائل وبمختلف الطرق والعمل
الدؤوب للتصدي لحركة الدعوة الاسلامية وانتشار حضارة
الاسلام . فأعدت الجهود الاستشرافية العدة وكرست الجهد
وأوعزت الى رجال الفكر والمبشرين بتكثيف العمل والعكوف على
دراسة الاسلام والشرق لمعرفة حقيقة الاسلام والمسلمين وبالتالي
العمل على رسم الخطط المناسبة للهجوم على الاسلام والقضاء
عليه .

وبالاشارة الى الحروب الصليبية التى دامت قرابة قرنين من

الزمان (٤٨٩ - ٦٦٩هـ) (١٠٩٥ - ١٢٧٠م) فإن هذه الحروب كانت مجالا خصبا لكتابات الأدباء في شتى أنحاء أوروبا . وتعتبر الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٣ - ٥٨٩هـ) (١١٨٧ - ١١٩٢م) على وجه الخصوص المضمار الكبير لكتابات الأدباء في إنجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وإيطاليا وغيرها من الدول الأوروبية ، ذلك لأن الحملة الصليبية الثالثة تعد بمثابة حملة عالمية كبرى اذ جمعت لها الأموال الطائلة ، وحشدت لها الجيوش الكبيرة من كل أنحاء أوروبا بعد نداء البابا من روما . وشملت الجيوش أعدادا كبيرة من النمسا وألمانيا وإيطاليا ، وإنجلترا ، وفرنسا . وتمثل المنازلات البطولية ، ومواقف الفروسية في هذه الجيوش النصرانية وما يقابلها من جيوش اسلامية الكثير من القصص والقصائد الشعرية خصوصا فيما يتعلق بشخصية الملك ريتشارد قلب الأسد وشخصية الامام المسلم صلاح الدين الأيوبي بطل حطين .

ومن أشهر القصص التي تتحدث عن بطولات صلاح الدين الأيوبي أثناء الحملة الصليبية الثالثة التي قادها الملك ريتشارد قلب الأسد القصة الانجليزية التي ظهرت في العصور الوسطى بعنوان « ريتشارد قلب الأسد » وقد كتبت هذه القصة في القرن الرابع عشر الميلادي^(١) . وهذه القصة كانت ملحمة منظومة تحكي جميع أحداث الحملة الصليبية الثالثة في أسلوب أوربي يصور الشرق والمسلمين في الأرض المقدسة في فلسطين . ويوجد في هذه القصة

(١) أنظر

Paul Harvey, *The Oxford Companion to English Literature*, P. 639

الكثير من الدس على المسلمين والاجحاف بهم وان كانت تصور بشاعة الغزو الصليبي وسلوك المحاربين النصارى . ونذكر من أحداث هذه القصة ما يدل على وحشية الصليبية ، ذلك أن الملك ريتشارد قلب الأسد كان مريضاً ذات يوم وطلب من حاشيته أن يحضروا له طعاماً من لحم الخنزير ، ولما لم يكن لحم الخنزير معروفاً في بلاد المسلمين بل وأن أكله محرم في الاسلام وكان الملك يلح على ذلك ، فقد قام رئيس حرس الملك بذبح طفل من أطفال المسلمين ممتليء الجسم وقدمه للملك على أنه لحم خنزير^(١) . . يا لها من خسة ووحشية هذا هو حال النصارى فهم أكلة لحوم البشر اما بالفعل أو بالقتل . والنقاد والأدباء في الغرب يرون أن هذه القصة مثال للبطولة والشجاعة التي قام بها الفرسان في هذه الحملة التي اشتهر فيها ملك الفرنجة والانجليز ريتشارد قلب الأسد .

وهناك قصة مماثلة في الأدب الفرنسى بعنوان « حملة الملك ريتشارد » وهي تحكي بطولات الملك الانجليزي في فلسطين مع المسلمين . وهذه البطولات التي يراها الأوروبيون في أدبهم ليست الا مظاهر من الهمجية والوحشية فهي تمثل قتل الصليبيين للمسلمين وأكل لحوم المسلمين على المآدب الملكية ، اذ أنه في احدى غزوات الملك ريتشارد أمر جنوده بقتل جميع أسرى المسلمين من رجال وأطفال ونساء ووضع رؤوس القتلى على موائد الطعام^(٢) . هل هذه

(١) أنظر S. Lane-Poole, *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem*, P. 377

(٢) أنظر دائرة المعارف البريطانية
Encyclopaedia Britannica, Vol. 5, P. 305.

بطولة أم أنها دناءة وخسة ؟ وهذه القصة وأمثالها تعمل على تمجيد الصليبيين واعتبار أي موقفة من المواقف الحربية التي تلحق الأذى والضرر بالمسلمين مواقف شجاعة وفروسية وبطولة . وأمثال هذه القصص ملئ بالتلفيق والأساطير والأكاذيب عن حقيقة الاسلام وعن حياة المسلمين . وفي هذه القصة بعض الأخطاء التاريخية حيث أنها تشير الى أن منازلة ميدانية قامت بين صلاح الدين الأيوبي والملك ريتشارد قلب الأسد ، والمعروف في كتب التاريخ أنه لم يلتق قط صلاح الدين بريتشارد لا في حرب ولا في سلم وإنما الذي التقي بالملك ريتشارد هو العادل أخو صلاح الدين الأيوبي .

ولقد كتب المؤلف الفرنسي جين سديان (١١٣٢ - ١٢٠٧هـ)

(١٧١٩ - ١٧٩٢م) Michel-Jean Sedaine مسرحية بعنوان « ريتشارد قلب الأسد » وذلك في عام ١١٧٨هـ (١٧٦٤م) أشاد فيها ببطولات هذا الملك والأخذ بالتأثر وتحقيق الانتصار على المسلمين وتأديبهم ، مع العلم أن الملك ريتشارد وبقية القواد في هذه الحملة قد منوا بالفشل الذريع بسبب تصدي المسلمين لهم وبسبب الخلافات التي سادت صفوف الجيوش الصليبية كما تروي كتب التاريخ فذهبت ربحهم سدى . فكيف تأتني للملك ريتشارد قلب الأسد أن يأخذ بالتأثر ويحقق الانتصار ؟ ولكن المقصود هو الاشادة بقوة المسيحية وأن المسلمين ضعاف متخاذلون .

ولو قرأ أحدنا كتاب « حكايات قسس راهيم » والتي ظهرت في

الفترة ما بين (٦٥٩ - ٦٦٩هـ) (١٢٦٠ - ١٢٧٠م) "The Tales of Minstrels Rhemis" لوجدناها تنسج الكثير من الأكاذيب والأباطيل ،

ومنها أن القائد صلاح الدين الأيوبي قد وقع في حب زوجة ملك فرنسا قائد الحملة الصليبية الثانية وأن حب هذه الملكة لصلاح الدين الأيوبي دعاها الى ترك دينها وأعتنقت الدين الاسلامي لكي تتمكن من الزواج من هذا البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي . ولو بحثنا في كتب التاريخ لوجدنا أن هذه القصة مليئة بالأكاذيب وبالافتراءات الكثيرة ، ففي الوقت التي جرت فيه أحداث الحملة الصليبية الثانية لم يكن عمر صلاح الدين الأيوبي قد تجاوز الحادية عشر فالحملة الصليبية الثانية كانت بدايتها في عام (٥٤٢هـ ١١٤٧م) ميلادية أي ما يوافق أحد عشر عاما من بعد ميلاد صلاح الدين الأيوبي والذي كان في عام (٥٣١هـ - ١١٣٦م)

ومن بين هذه الأكاذيب في هذه السلسلة من الحكايات القول بأن صلاح الدين الأيوبي اقتنع بالمسيحية كدين صحيح بديل للإسلام وأنه ذهب لاحدى الكنائس لتطهير نفسه وجسده بالماء المقدس ، بل الأكثر من ذلك تحكي هذه الروايات بأن صلاح الدين دفن بعد موته في أحد المقابر الملحقة بأحد الكنائس المسيحية الكبيرة في مدينة دمشق . كل هذه الأكاذيب والأساطير ذهب اليها الأدباء الأوروبيون بقصد الترويج للنصرانية والتبشير بها ليوهمو القراء بوقائع لا وجود لها على الاطلاق .

وهناك عدد كبير من الحكايات ، والقصص ، والمسرحيات والقصائد ، التي ظهرت في الأدب الفرنسي في العصور الوسطى وملأت الكتب بالكثير من الأساطير والأكاذيب عن الحروب

الصليبية والحملات الثمانية المختلفة^(١) . فعن الحملة الصليبية الأولى نظم الشاعر الفرنسي جريند دي دواي Grained de Douai الكثير من القصائد الشعرية مثل « أغنية أنطاكية » "Chanson Antioch" وقصيدة « القدس » « Conquete de Jerusalem » وكلاهما ظهرت في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي^(٢) . وعن الحملة الصليبية الثالثة كتب الشاعر الفرنسي أمبرواي إيفرو Aimbroise d'Evreux قصيدة طويلة أسماها تاريخ « الحرب المقدسة » *Etoire de La guere Sainte* وتتألف هذه القصيدة من حوالى اثني عشر ألف بيتا ، وتصور هذه القصيدة سوء المعاملة التي يلقاها الحجاج والزوار النصارى للأراضي المقدسة من قبل المسلمين ، والشاعر بهذا يعتبر أن العرب والمسلمين أمة همجية لا تعرف المظاهر الحضارية والأخلاقية والانسانية ، كما تضمنت هذه القصيدة الاشادة بريتشارد قلب الأسد أيضا^(٣) .

ومن أشهر الروايات التاريخية في فن القصة في الأدب الانجليزي روايات القاص البريطاني السير والتر سكوت (١١٨٥ - ١٢٤٨هـ) (١٧٧١ - ١٨٣٢م) Walter Scott ومنها روايتي المخطوطة *The Talisman* (١٨٢٥) والطلسم *The Betrothed* (١٨٢٥) وهي حكايات عن الحروب الصليبية ، والتي أعمل هذا الكاتب

(١) المصدر السابق : ص ١٨٢ - ١٨٣

(٢) أنظر Paul Harvey and J. E. Heselline, *The Oxford Companion to French Literature*, P. 23

(٣) نفسه ، ص ١٥

فيها فكره بكل جهوده التبشيرية والاستعمارية في النيل من الاسلام والمسلمين بكل ما أوتي من قدرة على التدليس والتحريف لحقائق التاريخ والخط من قيمة الاسلام والمسلمين ، واعتبار أن المسلمين ليسوا أصحاب حكمة ودراية بالحرب وفنونه وأنهم جبناء ، وأن الحكمة والهدوء والحكمة التي اتصف بها صلاح الدين الأيوبي إنما ذلك من قبيل الصدفة وأن تلك الصفات هي سمات الأفرنجة وليس للعرب ولا للمسلمين نصيب منها وليس هي من أخلاق المسلمين وطبائعهم . وهو يرى أن المسلمين كفار وملاحدة ووحوش وقطاع طرق .

ولقد كتب الأديب الألماني ليسينج (١١٤٢ - ١١٩٦هـ) (١٧٢٩ - ١٧٨١م) G. E. Lessing مسرحية شعرية في عام (١١٩٢هـ - ١٧٧٨م) ميلادية تحكي عن الحروب الصليبية أيام صلاح الدين الأيوبي ، ولقد تضمنت هذه المسرحية الكثير من الأخطاء التاريخية الى جانب ما جاء فيها من تدليس وتحقير للاسلام والمسلمين الذين اعتبرهم الكاتب جبناء وصور شخصية صلاح الدين الأيوبي بأنه في منتهى الجبن والخوف اذ طلب الصلح وعقد معاهدة مع المسيحيين وعلى رأسهم الملك ريتشارد قلب الأسد بشرط أن تزف أخت صلاح الدين الأيوبي ست الشام الى أحد أخوان ريتشارد^(١) . كيف يمكن أن يكون هذا مع امام عادل ومؤمن تقي مثل صلاح الدين الأيوبي العالم بأحكام الله ؟ هكذا

(١) أنظر -

Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, pp. 397-398.

بدأت الكتابات الأدبية من شعر ، وقصة ومسرحية في الآداب الأوربية وكان الحديث عن الاسلام بصورة مشوهة هو شغل أوربا الشاغل . فالحديث عن الشرق عموما وعن الاسلام خصوصا في أي فن من الفنون وفي أي علم من العلوم في نظر الغربيين انما هو مسألة تتعلق بمصلحة الكنيسة وبالاستراتيجيات الاستعمارية والقوانين التي تخضع لها والحديث عن الاسلام وحضارته وتراثه لا ينبغي أن يظهر بحقيقته السليمة بل لابد على كل كاتب أدبيا أو غيره أن يعالج الاسلام في كتاباته وكأنه شيء متأخر منحنط ليس له من الرقي الحضاري ومظاهر التقدم نصيب . وهذا هو المنهج الذي اتبعه الأدباء في كتاباتهم عن الاسلام كما نجد في الأعمال الأدبية التي تتصل بالشرق والاسلام في مؤلفات تشوسر (٧٤١ - ٨٠٣هـ) (١٣٤٠ - ١٤٠٠م) Geoffery Chaucer وكتابات ماندفيل (١٠٨١هـ - ١١٤٦هـ) Bernard Mandeville (١٦٧٠ - ١٧٣٣م) ووليم شكسبير (٩٧٢ - ١٠٢٥هـ) (١٥٦٤ - ١٦١٦م) وكذلك في أعمال جون درايدن (١٠٤١ - ١١١٢هـ) (١٦٣١ - ١٧٠٠م) John Dryden والاكسندر بوب (١١٠٠ - ١١٥٧هـ) (١٦٨٨ - ١٧٤٤م) Alexander Pope وبايرون (١٢٠٣ - ١٨٢٤م) G. Byron وغيرهم كثير فهم جميعا يصفون الشرق بأنه بلاد التخلف والانهطاط ، وان تحدثوا عن حضارته قالوا انها حضارة اندثرت وأفل نجمها ، وان الدين الاسلامي الذي ظهر في الشرق دين مخلق يغرر بالانسانية ويحكم عليها بالشقاء وأن

رسول هذا الدين شاعر وكذاب. (١)

ومن هذه الكتابات التي تعد امتدادا لتصوير الفروسية وأدب الحروب ما نجده في كتابات المؤلف الانجليزي تشوسر وخصوصا عمله المشهور باسم حكايات كانتربري Conterbury Tales. وعلى وجه الخصوص «حكاية الفارس» «The knight's Tale» ففيها يظهر الكاتب قوة الفارس النصراني ومقدرته على المنازلة خصوصا أمام فرسان الشرق من أبناء المسلمين. وهذا التصوير الرمزي وما شابهه يهدف الى اظهار قوة الرجل الغربي وقدرته على منازلة الشرقيين ، ويظهر في ذلك التركيز على العصبية العرقية أي أن الرجل الأبيض أقدر من غيره على الحرب والصمود ، وكأنهم بذلك يوحون أن اللون الأبيض هو سبب القوة . وأين كانت هذه القوة وتأثير اللون الأبيض يوم حطين وغيرها ؟

انه ليس اللون الأبيض وتأثيره ولكن العنصرية التي تملأ نفوس الغربيين . وان أمثال هذه الكتابات والتركيز على الرجل الأبيض ومظاهر العنصرية كثيرة جدا وذلك ما نجده في كتابات الانجليزي كبلينج (١٢٨٢ - ١٣٥٥هـ) (١٨٦٥ - ١٩٣٦م) R. Kipling ، وتوماس آرنولد (١٢٨١ - ١٣٤٩هـ) (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) Thomas Arnold ولدى الفرنسيين عند ارنست رينان (١٢٣٩ - ١٣١٠هـ) (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) Earnest Renan

وغيرهم كثير^(١) وأن هذا التصوير المبني على اللون رمز أدبي في أن الحضارة الحديثة ، الحضارة الغربية في جذورها التاريخية المتصلة من القديم الى الحديث انما قوامها الرجل الأبيض وهو سبب التقدم ، بينما الحضارات الأخرى التي لم يكن قوامها الرجل الأبيض حضارات بالية لا جذور لها ولا أصل^(٢) ذلك مضمون كتابات الأدباء في هذا الصدد ، ولعل كتاب كورنن Vincent Cronin

المسمى الانسان الراشد من الغرب The Wise man From the West هو المثال القوي على هذه العنصرية ، ففي هذا الكتاب عقد المؤلف صورة مقارنة بين الرجل الشرقي والرجل الغربي وخلص الى القول بأن الرجل الغربي أكثر قدرة واستعدادا على الرقي والتقدم الحضاري من الرجل غير الغربي .

وهذا باختصار ما كان من أدب الحروب وأدب الفروسية عند الأوربيين في تصويرهم للشرق ، وللإسلام وللمسلمين عبر القرون الوسطى وما بعدها . ولو تطرقنا الى لون آخر من ألوان الكتابات الأدبية في الغرب والتي تهتم بالشرق الاسلامي لوجدنا أدب الرحلات أو أدب الرحالة وما سجله الغربيون عن الشرق والإسلام والمسلمين من خلال رحلاتهم التي قاموا بها الى الشرق اما بقصد التجارة ، أو السياحة ، أو للأغراض الدينية بالحج وزيارة القبور والأماكن المقدسة كتلك الموجودة في فلسطين مثلا . وفي هذا اللون من الأدب لم يسلم الإسلام من القدح فهناك الكثير من الصور

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) نفسه ، ص ٢٢٧

المشوهة عن المسلمين وتاريخ الاسلام . والمعروف أن أدب الرحلات في الغالب لا يكتب من قبل رجال الأدب والأدباء المشهورين بكتاباتهم في الأدب العام ، ولكن الذين يؤلفون في أدب الرحلات عادة ما يكونون من الدبلوماسيين ، والمبشرين ، والبحارة ، والجنود ، والأطباء ، والتجار^(١) . والكتابات في هذا المجال تسير على منهج تسجيل المخاطر والانطباعات ، فهي تمثل انطباعات المؤلف وخواتمه ومشاهداته عن البلدان التي يزورها وما عليه أهلها من أخلاق وعادات وسلوك ، ونظم ومعاملات تجارية ، وعقائد دينية . كما يشمل ذلك وصفا جغرافيا وما فيه من مظاهر مناخية وتضاريس وما تمثله البيئة من مناظر . ولأدب الرحلات قيمة ترفيهية وإن كان بعضهم يعدّه مصدرا للدراسات التاريخية والجغرافية . وأدب الرحلات الذي كتب عن الاسلام في أوروبا كان له فوائد كثيرة بالنسبة للغربيين ، فقد أفاد هذا اللون من الأدب الغرب سياسيا وعسكريا في معرفة الطرق البرية والبحرية والمواقع الاستراتيجية في بلاد المسلمين ، بل وأكثر من ذلك أفاد في معرفة خصائص الاسلام وأحوال المسلمين الأمر الذي سهل للغرب غزو البلاد الاسلامية عسكريا وفكريا . كما أفاد أدب الرحلات الغربيين في حملاتهم التجسسية على المسلمين كما فعل فلبي في زيارته للجزيرة العربية وكتبه التي ألفها في هذا الشأن .

ولقد كان من أهمية أدب الرحلات عن الاسلام والشرق أن

(١) أنظر J. A. Cuddon, *A Dictionary of Literary Terms*, P. 715.

ساعد الغرب في النهوض في المجالات التجارية ، والاقتصادية وشجع على الكشف الجغرافية وأدب الرحلات وما صوره عن الشرق الاسلامي وأخلاقه ، وعاداته ، ونظمه وأحواله الاجتماعية المختلفة جعل الشرق محط اهتمام الكثير من المشتغلين بالبحث فصنفت المؤلفات التي تبحث في الطرق البرية والبحرية لسير السفن والقوافل ، وكتبت الكثير من الكتب التي عنت بالتجارة وأساليبها ، وطرق التعامل في كل بلد من البلدان . بل وان أدب الرحلات فتح الآفاق أمام الكنيسة في تنظيم الارسلالات التبشيرية الى البلاد الاسلامية . ولقد كان أدب الرحلات الذي كتب عن الاسلام والمسلمين عاملا فعالا للحركات الاستعمارية التي قام بها الغربيون على الشرق الاسلامي فيما بعد وكانت أحد الأسباب الرئيسية في نجاح الاستعمار .

والمؤلفات والكتب التي كتبت في مجال أدب الرحلات عن الاسلام والمسلمين كثيرة جدا ، اذ يصعب حصرها في مثل هذا البحث ، ونكتفي هنا بذكر بعض الأعمال الأدبية في أدب الرحلات والتي اهتمت بالبلاد الاسلامية والاسلام ، وفي الهند ، وجنوب شرق آسيا ، وفي البحر الأبيض المتوسط ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، ومصر . فن الملاحظ أنه مع بداية القرن السادس عشر الميلادي ازداد انتاج كتب الرحلات والكتابة عن الشرق الأدنى ، والشرق الأوسط ، والشرق الأقصى ، وأجزاء من آسيا وافريقيا

كما أن الاهتمام تركز في الكتابة عن الدولة العثمانية والقسطنطينية كما هو ملحوظ في كتابات توماس دالان Thomas Dallan في إنجلترا في عصر الملكة اليزابث الأولى حيث كتب هذا المؤلف كتابا أسماه الرحلة الى القسطنطينية ظهر في عام (١٠٠٨هـ - ١٥٩٩م) ميلادية . والكتاب يركز اهتماماته على كنيسة أباصوفيا وحال النصارى في ظل الحكم العثماني ، والذي فيه قد أطلق الكاتب العنان لنفسه ولخياله ليقول ما يمكن أن يقول العدو عن عدوه وأن المسلمين يسيئون معاملة النصارى هناك ، وأن الخليفة العثماني شخص يتسم بالسيطرة والديكتاتورية والجبروت وما الى ذلك من الأوصاف .

ولقد ظهرت أعدادا كبيرة من كتب الرحلات خلال القرن السابع عشر ونذكر منها كتاب هنري موندريل Henry Maundrell وعنوانه « رحلة من حلب الى القدس في عيد الفصح » (١١٤٣هـ - ١٧٣٠م) A Journey from Aleppo to Jerusalem at Easter وفي هذا الكتاب الكثير من وصف المناظر الطبيعية لبلاد الشام حلب والقدس وما جاورهما من المدن . وخيال الكاتب ظاهر في طيات كتابه وفيه كثير من الاحلام والأمنيات التي دعا فيها الكاتب الغرب بأن قال حبذا لو أن الأرض المقدسة كانت في أيدي النصارى وليست في أيدي المسلمين لما للنصارى من الحكمة والدراية في معاملة الزوار والحجاج الى البلاد المقدسة . كما أن هناك أحد المؤلفات التي كتبها جوزيف بتر وأسماء « عرض صادق عن دين وسلوك المومنين » (١١١٦هـ - ١٧٠٤م)

في هذا الكتاب Religion and Manners of Mohometans

تصوير لشخصيات خيالية لا وجود لها اختراها الكاتب لتكون نموذجاً يصور المسلمين وطرق تعاملهم مع الآخرين ، وتصوير علاقات المسلمين الاجتماعية والاقتصادية في البيع والشراء . وأظهر أن جميع ألوان السلوك التي يتبعها المحمديون حسب زعمه فيها من الاختلاف الكثير مما لا يتوافق مع تعاليم المسيحية بل أن هذا السلوك يخلو من الروح الانسانية لما عليه المسلمون من تحلف وتأخر لعدم وجود قوانين ضابطة في سلوكهم ودينهم فهم أشبه بقطعان المواشي . ويرى بعض النقاد أن أحسن كتب أدب الرحلات التي ظهرت في القرن السابع عشر الميلادي والتي يتحدث عن المسلمين ممثلين في الدولة العثمانية هو كتاب إيفيلا سيلبي (١٦١١ - ١٦٨٢م) Evliya Celebi ويقع هذا الكتاب في عشرة وهو يعطي الكثير من المعلومات عن تاريخ وجغرافية ، وتقاليده بعض الشعوب التي كانت خاضعة للحكم العثماني وإن كان يوجد في الكتاب حقائق تاريخية مغلوطة ، وأفكار ليس لها أساس من الصحة مما لا يتفق وحقيقة الاسلام وتشريعاته^(١) .

ومع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ، الزمن الذي تيسرت فيه السبل وخصوصا المواصلات عما كانت عليه الحال في السابق وأصبح الترحال والسفر أكثر سهولة ويسرا زاد الاهتمام بالشرق الاسلامي خصوصا عندما أصبحت أوروبا تحس التخوف المستمر

(١) المصدر السابق . ص ٧١٨

من نفوذ وسيطرة الحكومة العثمانية التي نظمت جيوش الانكشارية . بهذا تركزت الكتابة في أدب الرحلات عن أحوال الدولة العثمانية ومن بين هذه الكتب كتاب هل Aron Hill والذي أسماه عرض عن الحالة الراهنة للامبراطورية العثمانية (١١٢١ -

١٧٠٩م) *Account of the present State of the Ottoman Empire*

وهناك أيضا كتاب ريتشارد بيكوك Richard Pococke

المعروف باسم « وصف الشرق » (١١٥٦هـ - ١٨٩٢م)

A Description of the East ويمكننا أن نلاحظ أن الثلاثين سنة

الأخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين هي الأزمنة

الحرجة بالنسبة للبلاد الاسلامية والتي فيها انتهت الخلافة العثمانية ،

وظهر شبح الاستعمار وكابوسه على البلاد العربية والاسلامية ،

وظهرت الحاجة الى مزيد من مصادر المعرفة عن أحوال المسلمين

والعرب بقصد دحرهم والاجهاز عليهم فظهرت العديد من الكتب

الأدبية في أدب الرحلات والتي كان معظمها يستخدم لأغراض

الjasوسية بقصد تيسير مهمة الاستعمار ، والقضاء على أي حركة

داخلية تقاوم الاستعمار ونذكر من هذه الكتب كتاب بورتن

Richard Burton والذي أسماه « قصة شخصية للحج الى

المدينة ومكة » (١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م)

Personal Narrative of a Pilgrimage to El-Medina and Meccah

وهناك الكتابات المتعددة لفلي H. St. John B. Philby

معظم هذه الكتابات خواطر وانطباعات عن

رحلاته وزياراته التي قام بها الى الجزيرة العربية ، وقد خرجت كتبه

في صيغة أدبية جيدة ولكنها وجهت لخدمة الأغراض السياسية

والعسكرية ولقد كتب أكثر من خمسة كتب منها :

« قلب الجزيرة » (١٣٤١هـ - ١٩٢٢م) *The Heart of Arabia*

« جزيرة العرب الوهابية » (١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م)

« حاج في الجزيرة العربية » (١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م)

ويمكننا القول بصدق عن مغامرات قلبي أنها مغامرات خداع ومراوغة خدع فيها الناس بأنه رجل مسلم وكان يقوم بأداء الشعائر الإسلامية على الوجه المطلوب دفعا لأي شك يظهر لدى الناس . وقد تمكن بذلك أن يصل الى أغراضه وأهدافه السياسية التي من أجلها قام برحلته الى الجزيرة العربية وهناك كتاب الفرنسي شاتو بريان (١١٨١ - ١٢٦٥هـ) (١٧٦٨ - ١٨٤٨م) *Chateaubriand*

وكتابات هذا الرجل تتسم بالدقة والدراية والمعرفة لصلته القوية بالجيش ووزارة الدفاع بحكم عمله كضابط بالجيش الفرنسي ، وقد عرف برحلته المتعددة في شمال أمريكا ، وكثير من بلدان الشرق استنبول ، فلسطين ، تونس ، والتي كتب عنها الكثير في كتابه المعروف باسم « الشهداء » (١٢٢٤هـ - ١٨٠٩م)^(١) ولكن هذا المؤلف اشتهر بكتابه « الدليل من باريس الى القدس » (١٢٢٦هـ - ١٨١١م) *Itineraire de Paris a Jerusalem* ومن الكتب

التي تدل على الجاسوسية كتاب لورانس العرب T. E. Lawrence الذي أسماه « أعمدة الحكمة السبعة » (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) *The seven Pillars of Wisdom* وهناك كتابات فراي ستارك

(١) نجيب العتيقي ، « من الأدب المقارن » ، ج ١ - ص ٩٠

Frey Stark الذي كتب عددا من كتب الرحلات مثل « المداخل
الجنوبية للجزيرة العربية » (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) *The Southern
Gates of Arabia*. وكتاب « الشتاء في الجزيرة العربية » (١٣٥٩هـ -
١٩٤٠م) *Winter in Arabia*.

وعموما فان معظم هذه الكتب المشهورة في كتب الرحلات
منذ ظهور الاهتمام بالكتابة عن الشرق الاسلامي في القرن الثالث
عشر الميلادي وحتى عصرنا الحالي لم تكن تهتم بالاسلام والمسلمين
كظاهرة حضارية وديانة سماوية ولكن لتحقيق أغراض عدوانية
استعمارية ، وأغراض دينية تبشيرية كلها ترمي الى تدمير الاسلام
والمسلمين ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

واذا ما انتقلنا من الحديث عن أدب الرحلات الى الأدب العام
في الآداب الغربية المختلفة وجدنا أن اهتمامات الأدباء الغربيين في
فرنسا ، وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وغيرها من البلدان لا تقل أهمية عما
هو موجود في أدب الحروب الصليبية وأدب الرحلات . ذلك لأن
الأدب وفروعه من قصة وشعر ومسرحية من الألوان التي يمكن أن
يتسلى بها القارئ والتي يمكن عن طريقها أن تنشر أفكار كثيرة من
شأنها تشويه سمعة الاسلام والمسلمين .

ان الشرق الاسلامي أو فليقل ان الشرق كله يمثل عالما مجهولا
لكثير من الأدباء الغربيين ، ولكن عندما بدأت حركة الترجمة
وكراسي الاستشراق تأخذ مكانتها في الجامعات الغربية ، وكثرت
كتب أدب الرحلات تنبه الأدباء الى الشرق وما فيه من حضارة

ورقي وأنه مجال رحب للمغامرات وبه من النعيم والخيرات والجو اللطيف ما لا يوجد مثله في أوربا وذلك مما رآه معظم الناس والأدباء في مؤلفات شرقية أمثال كتب ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة التي ترجمت الى عدة لغات أوربية والتي منها بدأ الغربيون يهتمون بالشرق والكتابة عنه . ولكن من المؤسف أن يعتبر معظم الغربيين كتاب ألف ليلة وليلة هو الشرق بعاداته وأخلاقه ودياناته خصوصا الجانب الذي يهتمهم وهو الاسلام والمسلمون . وفي هذا خطأ كبير لأن المغامرات الموجودة في كتاب ألف ليلة وليلة وما فيها من مجالس مجنون وعبث وغيره ليست من الاسلام في شيء بل ان ما في هذا الكتاب انما هو من صنع الخيال ، ومع هذا فان الغربيين يعتبرون ذلك جزءا من الاسلام وحياة المسلمين وتراثهم^(١) .

ومما يمكن ملاحظته أن الأدب الفرنسى تأثر بالكتابة عن الشرق عموما والمسلمين خصوصا في فنون الأدب من مسرحية ، وقصة ، وشعر ونثر . فمثلا استقى الكاتب المسرحي كورناى (١٠١٥ - ١٠٩٦هـ) (١٦٠٦ - ١٦٨٤م) *Pierre-Cornille* مسرحيته « السيد » (١٠٤٧ - ١٦٣٧) *Le Cid* من مسرحية للكاتب الأسباني دي كاسترو *G. de Castro* وعنوانها « السيد » (١٠٢٨ - ١٦١٨) *Las Mocedades Lelcid* وهذه المسرحية الفرنسية تضمنت الكثير من وصف حياة العرب والمسلمين في الأندلس وقد عمد هذا الكتاب الى تصوير أحوال العرب والمسلمين في هذه

(١) « المستشرقون » ج ١ ، ص ١٦٩

المنطقة وقد أطلق عليهم لفظ البرابرة والوحوش وأنهم سفاكون للدماء وقلوبهم مليئة بالحق وحب المغامرات وقتل النساء والأخذ بالثأر وكل ما من شأنه الانقاص من قيمة الاسلام والمسلمين^(١) . ويعتبر الكاتب الفرنسي مولي (١٠٣٢ - ١٠٨٤هـ) (١٦٢٢ - ١٦٧٣م) Jean-Baptiste Poquelin Moliere من الذين خلدوا المسرح الفرنسي بما كتب من مسرحيات هزلية كوميدية وخصوصا في الموضوعات التي استوحاها من العادات والبيئة الشرقية والتي يهزأ فيها من حياة الشرقيين ومنهم العرب والمسلمين كما يمكن ملاحظته في المسرحية التي عنوانها البرجوازي الظريف (١٠٨١ - ١٦٧٠) *Le Bourgeoise Gentilhomme* . ولقد كتب موليير هذه المسرحية بأمر من لويس الرابع الذي طلب أن تكون هذه المسرحية تحديا لسفير تركيا المسلم في باريس^(٢) . ولقد تضمنت هذه المسرحية الكثير من أوصاف الرذائل والحقايق والسخافات عن الاسلام والمسلمين^(٣) .

ومن كتب في الأدب المسرحي الفرنسي عن الاسلام الكاتب المشهور فولتير (١١٠٦ - ١١٩٢هـ) (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) Francios-Maire Arouet Voltaire فقد كتب هذا الكاتب مسرحية عن شخصية الرسول ﷺ وعنوانها (محمد) (١١٥٥ - ١٧٤٢م)

(١) أنظر :

Philip Ward, *The Oxford Companion to Spanish Literature*, p. 292.

(٢) « المستشرقون » ، ج ١ ، ص ١٦٨

(٣) « من الأدب المقارن » ، ج ١ ، ص ٦٧

Mahomet وبطبيعة الحال فقد صور شخصية الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام على خلاف حقيقتها في أسلوب أدبي جذاب يزيّف فيه للقراء شخصية الرسول ﷺ ، بأن وصف النبي الكريم بأنه رجل وحشي وفظ وعديم الضمير وأنه ﷺ مجرد من المبادئ الأخلاقية ، وأن رسالته رسالة رجل أفاك محتال ودجال اعتمد على قوة السيف في انشاء دولة له ولاتباعه بدأت في المدينة المنورة^(١) . وقد أظهر فولتير مسرحيته هذه في صورة مأساوية وتمثل المأساة في شكل الدعوة الاسلامية ومضمونها وأنها جاءت لتجس حريات الناس والحرية البشرية عموما .

ويعتبر الأديب الفرنسي لى ساج (١٠٧٩ - ١١٦١ هـ) (١٦٦٨ - ١٧٤٧ م) Alain-Rene Le Sage ممن أفتتن بالقصص الشرقي وأغراض القصص في الاسلام فضمن بعض كتاباته المسرحية ، الحديث عن الاسلام فكتب مسرحيات أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وعن الجنة ، وعن مكة المكرمة ، وقوافل الحج ومعظم كتابات هذا المؤلف لم تخل من صور التشويه للإسلام والمسلمين وعن خلفاء رسول الله ﷺ^(٢) .

ولقد كتب جان راسين (١٠٤٩ - ١١١١ هـ) (١٦٣٩ - ١٦٩٩ م) Jean Racine قصة تتعلق بأحد الموضوعات الشرقية أملى موضوعها عليه الكونت دي سارزي لدى عودته من استانبول

(١) أنظر : *The Oxford Companion to French Literature* p. 435.

(٢) « المستشرقون » ، ج ١ ، ص ١٧٠

بتركيا . ولقد سُمي راسين قصته هذه باسم « با يزيد » (١٠٨٣ هـ - ١٦٧٢ م) Bajazet . وأحداث القصة تجري في القسطنطينية وهي مليئة بمغامرات الحياة والغدر وسوء الطوية . ولقد اعتمد راسين في كتابة قصته على كل ما قصه عليه الكونت دي ساري دون أيما تمحيص ، بل أنه أطلق العنان لخياله ليقول ما شاء عن الاسلام والمسلمين وعن الخلافة العثمانية ، وأعتبر المسلمين قوما تجرى الحياة والغدر في دماءهم وأن لا أمانة عندهم في حفظ العهود والمواثيق ، وأنهم يسيئون معاملة الناس وخصوصا اليهود والنصارى (١) .

هذا هو شأن الكتابات الأدبية في الأدب الفرنسي عن الاسلام والمسلمين وعن شخصية نبي الاسلام ورسوله ﷺ وخلقائه رضوان الله عليهم أجمعين . وهذه الكتابات كما أوضحنا في النماذج التي عرضنا لها كلها تحامل وهجاء ودس وذم في حق الاسلام والدعوة الاسلامية وتراث الاسلام . ولو حاولنا أن نجد في كتابات بعض الأدباء نماذج تخلو من مثل هذا الهجاء والدس ، كتابات تعنى بوصف الشرق والاسلام والاعجاب به فانتا نجد بعض النماذج التي لا يعتد بها ، نجد كتابات كلها اعجاب سلبي اعجاب الناظر المتفرج الذي يصف الشرق والاسلام في جزئيات مادية من طيب الملبس ، وحسن المأكل ، وجمال البناء ، ولكن ليست ثمة كلمة طيبة تقال عن المسلمين وأخلاقهم وعن الدعوة الاسلامية ورسالتها من ذلك مثلا ما نراه في مدى تأثير البيئة المصرية ومناظرها الجميلة في نفس

(١) المصدر السابق . ص ١٦٩

الأديب الفرنسي نرفال (١٢٢٣ - ١٢٧٢هـ) (١٨٠٨ - ١٨٥٥م) G. De Nerval وقد تضمن كتابه الذي عنوانه « رحلة في الشرق » (١٢٦٨هـ) (١٨٥١م) *Voyage en-Orient* وصفا للطبيعة العامة في مصر وحياة الشرق اليومية دون أي ذكر للحالة الاجتماعية للناس وطرق تعاملهم . كذلك كان الحال بالنسبة للقاصي المشهور فلوبيير (١٢٣٧ - ١٢٩٨هـ) (١٨٢١ - ١٨٨٠م) G. Flaubert حيث تأثر في رحلته الى مصر بالحياة هناك والجو المناخي فيها . ولقد استوحى اسم روايته المشهورة « مدام بوقارى » (١٢٧٤هـ) (١٨٥٧م) *Madame-Bovary* من اسم صاحب الفندق الذي نزل به في القاهرة . ولقد احتوت قصة أخرى لنفس الكاتب باسم سلامبو (١٨٦٢) *Salambo* وصفا عن بلاد العرب ومصر وتونس وما فيها من جو ورياح مثل رياح الخماسين ووصف الطبيعة والأنهار والترع ، وأشجار النخيل وكذلك وصف الملابس والحلي وبخاصة ملابس النساء الطويلة السوداء والأحجبة وأنواع الطيب وأنواع المواعظ^(١) .

ولقد كتب الأديب الفرنسي المشهور هيجو (١٢١٧ - ١٣٠٣هـ) (١٨٠٢ - ١٨٨٥م) *Victor Hugo* مجموعة قصائد عن الشرق جمعها في كتاب وسماها الشرقيات أو المشرقيات (١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م) *Les Orientales* . وهذه القصائد في مجموعها تتصل بموضوعات تتعلق بوصف الشرق وبالذات البلاد

(١) محمد غنيمي هلال . « الأدب المقارن » ، ص ٣٢٢

العربية وفيها انطباعات الكاتب عن الشرق في جوه الحار الذي يبعث على الوهن والفتور والكسل والخمول وما عليه الشرق من همجية وتحلف^(١).

وفي مجال الشعر أيضا كتب الكاتب الفرنسي ستندال (١١٩٨ - ١٢٥٨هـ) (١٧٨٣ - ١٨٤٢م) Stendhal مقالات مقارنة عن حياة العرب وأشعار الحب وعقد دراسة كاملة عن الحب في الغرب ومثله من الحب العذري عند العرب الذي أثنى عليه كثيرا^(٢). كل هذه النماذج من الكتابات عن الشرق والعرب والاسلام بصورة سلبية ليس له فائدة كبيرة لأن الدعوة الاسلامية هي دعوة خير وسلام وعقيدة اصلاح ، لا مظاهر مادية ومناظر طبيعية وحب عذري .

واذا ما أردنا أن نعرض لبعض النماذج الأدبية الموجودة في الأدب الانجليزي التي اهتمت بموضوعات عن الشرق الاسلامي والشعوب الاسلامية ، فاننا لا نجد الأمر أحسن حالا عما هو عليه في الأدب الفرنسي ، فالكفر ملة واحدة ومما نلاحظ عن الكتابات الأدبية في الأدب الانجليزي فيما يتصل بالاسلام انها اما تكون ذات صلة بالحروب الصليبية وذلك ما عرضنا له سابقا في حديثنا عن أدب الحروب ، أو فيما يتعلق بأدب الرحلات وقد ذكرنا بعض الأمثلة لذلك سابقا . ولكن الاهتمام بحياة الشرق وخصوصا حياة

(١) أنظر : The Oxford Companion to French Literature, P. 529.

(٢) « من الأدب المقارن » ، ج ١ ، ص ١١٩

المسلمين والعرب في الأماكن المقدسة فلسطين وغيرها ، وفي الجزيرة العربية فقد ازداد ظهوره في الأدب الانجليزي في أواخر القرن الثالث عشر كما يظهر في كتابات الفيلسوف الانجليزي بيكون (٦١١ - ٦٩٤ هـ) (١٢١٤ - ١٢٩٤ م) Roger Bacon والذي تناول في كتاباته الحديث عن الاسلام بصورة مكثفة ومتزايدة^(١) لما له من معرفة كبيرة بالعربية والعربية واللاتينية وبعض اللغات الآرمية^(٢) وقد اهتم بعض الأدباء الانجليز بالشرق العربي اهتمام المتأمل في بيئة العرب وطرق الحياة العربية وأحوالها ، وصلاتها مع أصحاب الأديان الأخرى . فلقد كتب الشاعر الانجليزي تشوسر قصة الزبا ملكة تدمر وهي مستوحاة من القصص الشرقي والبيئة العربية^(٣) كما ظهرت بعض الصور الشرقية في كتاب الأديب المسرحي وليم شكسبير William-Shakespeare في مسرحيته المشهورة تاجر البندقية (١٠٠٦ هـ - ١٦٠٥ م) *The Merchant of Venice* ومسرحيته التي عنوانها عطيل (١٠١٤ هـ - ١٦٠٥ م) *Othello*

والمعروف أيضا أن الكاتب المسرحي مارلو (٩٧٢ - ١٠٠٢ هـ) Christopher Marlowe كتب مسرحية انجليزية عن شخصية تيمورك (٩٩٦ هـ) (١٥٨٧ م) *Tamberlaine*

(١) « المستشرقون » ، ج ٢ ، ص ٤٦٣

(٢) أنظر : *The Oxford Companion to English Literature*, P. 57.

(٣) « المستشرقون » : ج ٢ ، ص ٤٦٣

وفيه بعض حروب هذا الطاغية وتمكنه من محاربة الخليفة العثماني
بابزيد ومحاربة سلطان مصر ، وسultan الشام^(١) ولقد ذهب هذا
الكاتب الى تصوير حروب المسلمين فيما بينهم في صور مليئة
بالسخرية والتهكم الأمر الذي حدا ببعض النقاد الى القول بأن
صورة شخصية تيمور لنك وأفعاله التي رسمها مارلو تشبه في ذلك
المظالم النازية الألمانية والماركسية الشيوعية في العصر الحديث^(٢)

ولقد كتب أحد معاصري شكسبير وهو الكاتب المسرحي بن
جنسون (١٠٧٢هـ - ١٦٣٧م) Ben Jonson مسرحية باسم
الكيمائي (١٠١٩ - ١٦١٠م) *The Alchemist* ومادة هذا العمل
الأدبي مستقاة من القصص الشرقي وبعض الشخصيات
العربية^(٣) وكذلك نجد في مجال الأدب المسرحي كتابات برنارد
شو (١٢٧٣ - ١٣٧٠هـ) (١٨٥٦ - ١٩٥٠م) George Bernard
Shaw والذي كتب أكثر من عمل أدبي وقد تضمنت كتاباته
الحديث عن الاسلام والمسلمين بصورة في ظاهرها الخير ولكن
باطنها الشر والفساد والاحتقار^(٤) .

وفي مجال الشعر هناك العديد من القصائد الشعرية التي نظمت
وتدور موضوعاتها حول شخصيات اسلامية أو قضايا تتعلق
بالاسلام والمسلمين من ذلك مثلاً قصيدة كتبها الشاعر الانجليزي

(١) أنظر : *The Oxford Companion to English Literature*, p. 801

(٢) أنظر : Antony Burgess, *English Literature*, P. 70

(٣) « من الأدب المقارن » ج ١ . ص ١٦١

(٤) « المستشرقون » ج ٢ . ص ٤٦٤

سودى (١١٨٨ - ١٣٠٢هـ) (١٧٧٤ - ١٨٤٣م) Robert Southey واسمها ثعلبة الفتاك (١٢١٦هـ) (١٨٠١) Thalaba the Destroyer وهي تحكي قصة رجل مسلم أوقف نفسه لمحاربة السحر والسحرة وما يستخدمونه من شعوذة وكان الشاعر هنا يريد أن يؤكد بأن الاسلام فيه من الأساطير الخاصة بالسحر والسحرة الأمر الذي ساعد على انتشار هذه الدعوة تحت تأثير قوة السحر.

ولقد كتب الشاعر بليك (١١٧١ - ١٢٤٣هـ) (١٧٥٧ - ١٨٢٧م) William Blake عددا من القصائد الشعرية تدعو النصارى الى محاربة المسلمين ومقاومتهم ومحاولة انقاذ بيت المقدس من أيديهم ، ذلك ما نراه في احدى قصائده التي تناولت هذا الموضوع وعنوانها من القدس (١٢١٩) (١٨٠٤) From Jerusalem ففي هذه القصيدة عمل الشاعر على تمجيد المسيحية وتحقير الاسلام ، بل وتضمنت القصيدة بعض صور التلميح للدعوة الى الصهيونية واليهودية^(١) . وهناك أيضا الملحمة الشعرية الكبيرة التي كتبها الشاعر الرومانسى شيللي (١٢٠٧ - ١٢٣٨هـ) (١٧٩٢ - ١٨٢٢م) P. B. Shelley والتي تسمى « ثورة الاسلام » (١٢٣٤هـ) (١٨١٨م) "The Revolt of Islam" وقد كانت هذه القصيدة عندما كتبها الشاعر تحمل عنوان "Laon and Cythna" أو « ثورة المدينة الذهبية » "The Revolution of the Golden city: A vision of the Nineteenth Century"

(١) أنظر : The Norton Anthology of Poetry PP. 560-561

وليس في هذه القصيدة ما يدل على أنها تتصل بالاسلام سوى عنوانها ثورة الاسلام بل ان معظم القصيدة يتحدث عن الثورة الفرنسية وتدمير سجن الباستيل في فرنسا وتحرير رجال الفكر واطلاق الحريات ، ولكن المستول عن نشر القصيدة وبالاتفاق مع الشاعر جعل اسم القصيدة ثورة الاسلام في رأيهم أن الاسلام هو صورة في أحكامه وتشريعاته مما كان يجري من أحكام وتشريعات الطغاة في فرنسا ، فجاءت أحداث الثورة الفرنسية ظاهرا هي موضوع هذه القصيدة وأن الشكل الرمزي باطنا هو لحقيقة الاسلام أنه دين تعسف وجبروت وقهر وكان هذا هو محصلة العنوان الذي سميت به القصيدة . ولقد كتب نفس الشاعر شيللي قصيدة أخرى اسمها (هيلاس) (١٢٣٧) (١٨٢١ م) "Hellas" قام فيها بتمجيد ثورة اليونان على المسلمين في تركيا^(١) .

ويعتبر اللورد بايرون (١٢٠٣ - ١٢٤٠ هـ) (١٧٨٨ - ١٨٢٤ م) Lord George Byron ممن اهتموا في كتاباتهم بالحديث عن الشرق الاسلامي كما تمثله الخلافة العثمانية في تركيا . اذ نظم قصيدة أسماها « القرصان » (١٨١٤) "The Corsair" وهي تحكي مواقف بطولية لبعض الشخصيات الانجليزية بالمقارنة مع بعض الشخصيات المسلمة التي تمثل الخوف والجهنم^(٢) وهذه القصيدة تصور حملة من الانجليز على الأتراك ، اذ يدخل بعض القراصنة على قصر السلطان العثماني ويشعلون النار فيه ويقتلون ويسلبون

(١) « من الأدب المقارن » ، ج ١ ، ص ١٧٣

(٢) نفسه ، ص ١٧٢

ويهمون^(١) وقد اعتبر الشاعر أن هذا الأمر موقفا بطوليا من الانجليز اذ أنهم تمكنوا من تأديب المسلمين وردعهم عما هم فيه من الاستبداد والوحشية دون الالتزام بآداب الأخلاق الانسانية . ولعل تاريخ ظهور هذه القصيدة فيه دلالة على بداية الاستعدادات التي كانت تقوم بها أوروبا لاحتلال الشرق والقضاء على الخلافة العثمانية . ولقد كتب اللورد بيرون قصيدة شبه غرامية اسمها « لارا » (١٣٣٠هـ) (١٨١٤م) "Lara" وفيها يصف شابا مسلما بالغدر والخيانة وعدم تقديره الأحاسيس والمشاعر^(٢) ومن المعروف أن كتابات اللورد بايرون عن الاسلام والمسلمين كان لها أبعاد سياسية وإيجاعات استعمارية كما تشير الى ذلك بعض كتب لأدب والنقد^(٣)

وللقصة في الأدب الانجليزي نصيب في الكتابة عن الاسلام والمسلمين وقد أشرنا في حديثنا عن الحروب الصليبية وأدبها الى بعض الروايات الانجليزية التي كتبها السير والتر سكوت Walter Scott وهما رواية الطلسم *The Talisman* والمخطوبة *The Betrothed* ولقد كتب سكوت رواية ثالثة لم نذكرها فيما تقدم وهي ذات علاقة بالحروب الصليبية وهي رواية ايفانهو (١٢٣٤ - ١٨١٨) *Ivanhoe* . ولكن هذه الرواية كانت تركز على الشخصية اليهودية وكأنها شخصية مضطهدة بين المسلمين . والكتابة عن اليهود

(١) المصدر السابق ، ص ١٧١

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

واليهودية كانت من العوامل التي سعى اليهود اليها في تغيير الصورة المعروفة عنهم الى صورة أفضل في الأدب أرادوا أن يغيروا هذه الصورة التي جاءت في كتابات شكسبير ، ومارلو وغيرها الى صور جميلة يستعطفون بها الرأي العام ويمهدون لابرار قضية فلسطين والمطالبة بالوطن القومي والذي تمخض فيما بعد باقامة دولة اسرائيل اليهودية الصهيونية . ولقد سعى اليهود الى اظهار قصة سكوت هذه الى الوجود بشتى الوسائل وبعده لغات ، ومن حينها بدأت الشخصية اليهودية تعالج في الآداب الغربية خلاف ما كان عليه الأمر سابقا وذلك ما نراه مثلا في قصة جورج اليوت (١٨١٩ - ١٨٨٠) George Eliot المعروفة باسم دانييل ديروندا (١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م) *Daniel Deronda* وهي آخر روايات جورج اليوت وفيها الحديث عن اليهودية والشخصية اليهودية المضطهدة^(١)

وقد كتب دزرائيلي (١٢١٩ - ١٢٩٩هـ) (١٨٠٤ - ١٨٨١م) Benjamin Disraeli رئيس وزراء بريطانيا خلال عام (١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م) والأديب المعروف بعض المقالات الأدبية عن الاسلام والشرق بكل ما أوتي من قوة في النيل من الاسلام والمسلمين . وهو مشهور بروايته المسماة تانكورد (١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م) *Tancred* وهي رواية جديدة تتحدث عن الحروب الصليبية اذ أنها ظهرت في نفس الوقت الذي كتب فيه سكوت رواياته عن الحروب الصليبية ، ولكن رواية دزرائيلي ركزت على

(١) أنظر : *The Oxford Companion to English Literature*, P. 463

أهمية الشعب اليهودي كجنس بشري له حقوقه ومطالبه ، وينبغي أن يعامل معاملة انسانية حسنة من قبل جميع شعوب العالم بمختلف عقائدهم وأديانهم وخصوصا من قبل المسلمين الذين أضطهدوا اليهود بشتى الصور ، وطالب بأن تكون فلسطين أرض الميعاد مكان السلام لليهود ، ولا غرابة في ذلك فكاتب القصة دزرائيلي من أصل يهودي وله أن يقول ما شاء^(١) ويظهر في هذه الرواية الأفكار السياسية ، والمطالبة بأن تكون فلسطين وبيت المقدس تحت سيطرة اليهود وفيها الدعوة الى الاستعمار وانشاء وطن قومي لليهود^(٢) .

هكذا اهتم الأدب الانجليزي في أشكاله الأدبية المختلفة من مسرحية وقصة ، وشعر بالاسلام والمسلمين بقصد اثبات بطلان الدين الاسلامي واتهام المسلمين بالاستبداد والتعسف أو لأسباب سياسية واستعمارية يقصد بها قهر المسلمين وقتلهم .

ويمكننا القول بأن الكتابة عن الاسلام والمسلمين تركزت في الأدبين الانجليزي والفرنسي أكثر من غيرها من الآداب الغربية الأخرى لما كان لهاتين الدولتين من مطامع استعمارية ونزعات سياسية أكثر مما هو موجود في أي دولة أخرى ، ومع هذا فالآداب الغربية الأخرى في ألمانيا وأسبانيا وإيطاليا فيها محاولات مشهورة في الكتابة عن الشرق الاسلامي والشعوب الاسلامية وعقيدة الاسلام ، وهي

(١) أنظر : *The Oxford Companion to English Literature*, P. 801

Orientalism, P. 169

(٢) أنظر :

لا تختلف كثيرا عما هو عليه الأمر بالنسبة للأدبين الفرنسي والانجليزي .

ففي الأدب الايطالي الكثير من الموضوعات التي كتبت عن العرب والاسلام وذلك لما نعرفه من الموقع الجغرافي لايطاليا وقربها من بعض مراكز الحضارة الاسلامية ونجد نماذج لكتابات أدبية عن الاسلام في أعمال دانتي وبوكاسيو ، وماكيافلي ولاريوس ، ولي تاس وغيرهم كثير ونكتفي هنا بالاشارة الى عمل دانتي (٦٤٤ - ٧٢١هـ) (١٢٦٥ - ١٣٢١م) Alighieri Dante وهو

الموسوعة الكبيرة التي سماها الكوميديا الالهية *Divine Comedy* ويعتد هذا العمل موسوعة للغة ، والتاريخ ، والدين والأدب والعلم وقد استقى دانتي موسوعته هذه من مصادر عربية واسلامية فيما يتعلق بالاسراء والمعراج وقد أشار الى هذا المستشرق الأسباني ميغيل آسين بالاثيوس (١٢٨٨ - ١٣٦٤هـ) (١٨٧١ - ١٩٤٤م) في كتاب له أصدره عام (١٣٣٨هـ - ١٩١٩م) ذكر فيه أن دانتي تأثر تأثرا مباشرا في الكوميديا الالهية بقصة الاسراء والمعراج المشهورة في الاسلام^(١) ومما يدل على ذلك تصوير شخصية الرسول ﷺ بأسواء ما يمكن تصويره به وعدم انصافه فيما قال عن الاسلام والمسلمين .

« وفي (الكوميديا الالهية) نفسها ما يثبت اطلاع (دانته) على الثقافة الاسلامية . مع أنه بقي العدو للددود للاسلام - لأن اخلاصه

(١) « الأدب المقارن » . ص ١٤٢ - ١٤٣

لعقيدته كان مسيطرا عليه ولأنه يمثل في ذلك عقلية العصور الوسطى والحروب الصليبية^(١) ولو لم يكن شيء يذكر عن الأدب الإيطالي سوى ملحمة دانتي وما حملته من عداوة للإسلام والمسلمين ، وما جاءت فيه من أباطيل وأكاذيب عن شخصية الرسول ﷺ لكفي ولكن نود أن نعرض لبعض النماذج الأخرى في الأدب الإيطالي التي اهتمت بالإسلام والكتابة عنه . فلقد كتب بوكاسيو (٧١٣ - ٧٧٧ هـ) (١٣١٣ - ١٣٧٥ م) G. Boccaccio قصة عن شخصية صلاح الدين الأيوبي ، وكانت كتابته متأثرة بالمظاهر الجغرافية السائدة في الشرق ، ويبدو أنه كذلك تأثر في تصوير المسلمين وأحوالهم وكذلك تصوير شخصية صلاح الدين الأيوبي على غرار ما هو موجود في القصص الشعبي عن الشرق في كتاب ألف ليلة وليلة^(٢) ولقد كتب الشاعر الإيطالي تاسو (٩٥١ - ١٠٠٤ هـ) (١٥٤٤ - ١٥٩٥ م) Torquato Tasso ملحمة شعرية كبيرة أعتبرت من روائع الأدب في عصر النهضة في أوروبا وكانت هذه القصيدة تسمى فتح القدس ، أو « القدس المحررة » (٩٨٣ هـ - ١٥٧٥ م) *Jerusalem Delivered* وقد أهداها الشاعر الى الكردينال الدبرانديني الذي اقترح بدوره على البابا تكريم هذا الشاعر لعمله الجليل والذي أشاد فيه بالمسيحيين وحق اليهود في القدس مع اخوانهم النصارى دون غيرهم وهم المسلمين

(١) المصدر السابق . ص ١٤٥

(٢) « من الأدب المقارن » . ج ١ . ص ١٣٦

(٣) نفسه . ص ١٣٩

أما بالنسبة للأدب الألماني فبإمكاننا أن نكتب عن أشهر ما أتجه أدباء ألمانيا عن الاسلام والموجود في الأعمال الأدبية لكل من جوته وشيغل ، وديمان ، وشلنج . فقد كتب دامن أو ديمان Damen الشعر وهو متأثر بالموشحات الأندلسية وقد قدم صورا مختلفة عن حياة المسلمين في الأندلس في عصر الانحطاط والضعف ، وكانت تلك الصورة التي اعتمد عليها صورة سلبية لا تقرر بحال من الأحوال حقيقة الاسلام والمسلمين ، ولكن الشاعر اتخذ ذلك سبيلا للنيل من الاسلام وتصويره أسوأ صورة وأن هذا هو الاسلام الضعيف الذي لا يستطيع أن يدافع عن أتباعه . ولم تختلف صورة الاسلام كثيرا فيما كتبه الأديب الألماني شليجل (١١٨٦ - ١٢٤٥هـ) (١٧٧٢ - ١٨٢٩م) F. Schlegel كما هو موجود في

كتابه *Über die Sprache Und Weishert der Indera* الذي صور الاسلام في أشكال خرافية وأسطورية لا تليق بالاسلام ومقامه وتعتبر رواية ابدياز (١٢٥٨هـ) (١٨٤٢م) للكاتب الألماني ستفتر (١٢٢٠ - ١٢٨٥هـ) (١٠٨٥ - ١٨٦٨م) من الروايات الألمانية التي تروج للدعاية اليهودية واليهود ضد المسلمين .

عندما نتحدث عن الكاتب الألماني المشهور جوته (١١٦٣ - ١٢٤٨هـ) (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) فإن ما يتبادر الى الذهن هو كتابه المشهور باسم « الديوان الشرقي للمؤلف الغربي » (١٢٣٥هـ) (١٨١٩م) وهو مجموعة من القصائد الشعرية المتعلقة بالشرق والاسلام . ولقد هم جوته بكتابة

مسرحة عن شخصية الرسول ﷺ ولكنها آخر الأمر انتهت الى قصيدة غنائية سميت « نشيد محمد » (١١٨٧هـ) (١٧٧٣م) "Mahomets Gessang" وعموما فان كتابات هذا الأديب الألماني وان لم تكن تمس الدين الاسلامي والرسول الكريم ﷺ بصورة مباشرة الا أنها قدمت صورة غير واضحة عن مفهوم جوته للاسلام ودعوة الرسول ﷺ. فقد كانت تصورات هذا الكاتب عن الاسلام أنه مصدر للرهبانية والتصوف وأن هدوء الروح وراحتها في حضارة الشرق مصدرها الرهبانية .

وعموما فان ما قدمناه من نماذج عن كتابات الآداب الغربية عن الاسلام قصدنا بها اعطاء فكرة عامة وعابرة وكيف أن الاسلام والمسلمين يحاربون بشتى الوسائل والسبل عقائديا وفكريا وعسكريا ، حتى أن كتب الأدب لم تخلو من الحرب الضروس المليئة بالباطل والافك والزور والبهتان .

خاتمة

وختاماً فالاستشراق انما هو وليد فكرة واحدة فكرة الغزو الاستعماري والعقائدي الذي نادى به المبشرون بقصد التمكين للحضارة الغربية المسيحية المادية من السيطرة على الحضارة الاسلامية والغاء دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاخلاقية والاقتصادية وتشكيك المسلمين بدينهم ومحاولة ابعادهم وغيرهم عنه ولقد سلك الاستشراق طريق البحث والتأليف العلمي والأكاديمي - زعموا - فأستخدم الكتاب ، والمقال وكرسى التدريس خصوصاً في الجامعات - والمؤتمرات والندوات ، فعل هذا كله وهو يتجلبب بجلباب العلم والبحث العلمي ، ولكنه كان يحمل معول الهدم لهذه الأمة في عقيدتها وثقافتها وأسلوب حياتها لهذا يجب الا ينظر الى الاستشراق على أنه حركة أكاديمية تسعى الى احتواء أبناء المسلمين الدارسين في الغرب وتشويش أفكارهم وتغريبهم فقط ، ولكن بالاضافة الى ذلك الاستشراق يمتد الى أكثر من هذا فيما يستفيد منه رجال الاقتصاد ، والعلوم الاجتماعية في توجيه أفكار الدارسين من أبناء المسلمين نحو سياسة غربية منحرفة عن تعاليم الاسلام وتشريعاته ، وهذا ما نسمعه ونقرأه في شتى وسائل الاعلام من أفكار وآراء لا تمت بصلة الى الاسلام وحضارته

ينادي بها أبناء المسلمين ، ولنعلم أن مصدر ذلك هو الحرب الفكرية التي بدأتها الكنيسة بدراسة أحوال الشرق الاسلامي وأحوال المسلمين للتمكن من القضاء عليهم والاجهاز على الدين الاسلامي وتمثلت هذه الحرب الفكرية في الترجمة ، والدس والتزوير والاتهامات الباطلة عن الاسلام والمسلمين ، ثم امتدت بعد ذلك الى حروب عسكرية تمثلت في حملات الانتداب ، والحماية ، والاستعمار بقصد صبغ الدول الاسلامية صبغة غربية خالصة واتباع قوانين وضعية من شأنها تمزيق الأمة الاسلامية وتشيت شملها بما يوجد في البلد الواحد من أنظمة متعددة رأسمالية وشيوعية ، واتجاهات مختلفة ، كالعلمانية والماسونية والقومية الخ .

وصدق الله العظيم اذ يقول :

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾^(١)

فعلينا معشر المسلمين الرجوع الى الحق الى كتاب الله جل جلاله وستة نبيه وحببيه وصفوة خلقه سيدنا محمد ﷺ وأن نعد العدة لذلك والعمل في سبيل الله في ضوء ما يلي :

(١) تنقية الحياة الاسلامية المعاصرة من جميع رواسب ما خلقه كل من التبشير والاستشراق والاستعمار في المدارس والمناهج والثقافة ، فنعيد صياغة مناهجنا في مدارسنا وفق عقيدتنا ومتطلبات حضارتنا ووجودنا كأمة ذات كيان مستقل ومتميز .

(١) الروم ، الآية ٤١

(٢) ابعاد جميع العناصر المشبوهة عن المراكز القيادية في التوجيه خصوصا في وزارات التربية والتعليم والثقافة ، والاعلام ، والتخطيط .. الخ .

(٣) مراقبة جميع وسائل الاعلام واخضاعها لتوجيهات سليمة تقوم على تنشئة جيل واع مزود بالثقافة الاسلامية الصحيحة .

(٤) انشاء هيئات علمية متخصصة تكون مسؤولة عن تتبع كل ما يكتبه أعداء الاسلام والمسلمين ومنهم المستشرقون ، والرد عليهم وكشف كذبهم وأباطيلهم .

(٥) انشاء دائرة معارف اسلامية يكتبها علماء مسلمون متخصصون .

هذه في تقديري بعض لسبل - التي ان سلكتها بتصميم وعزم عدنا بتاريخنا وتراثنا ، وحضارتنا ، وفوق ذلك كله بعقيدتنا الى نهج السلف الصالح كما أرادها لنا الله سبحانه وتعالى عندما أرسل لنا رسولا وأنزل عليه كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبالله التوفيق .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

هذه قائمة بأسماء بعض أشهر المستشرقين في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا والمملكة المتحدة (بريطانيا) والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي . والأسماء جميعها مأخوذة عن كتاب المستشرقين لنجيب العقيلي وقد حرصنا على ترتيب الأسماء حسب الحروف الأبجدية اللاتينية خلافا لما عمل به نجيب العقيلي والذي وضع الأسماء حسب ميلاد كل مستشرق وفي هذا صعوبة للباحث وقد سهلنا له ذلك . والقائمة أدناه توضح رقم الجزء الذي يوجد فيه اسم المستشرق وكذلك رقم الصفحة ، فمثلا الرقم ٢٣٩/١ يعنى الجزء (١) والصفحة (٢٣٩) . وقد يلاحظ القارئ أن بعض المستشرقين وضعوا في بلدان غير البلد التي ولدوا فيها وهذا خطأ وقع فيه نجيب العقيلي ولكن لم نتمكن من تصويب ذلك . كما يوجد سقط في بعض أسماء المستشرقين يمكن للقارئ أن يجدها في بعض الكتب الأخرى التي كتبت في هذا الشأن وبعضها موجود في قائمة المراجع في هذا البحث .

FRANCE

Arnaud, R.....	1/239	Goichon, A.M.....	1/309
Basset, Rene.....	1/223	Goudefroy-Demombynes,	
Bel, A. O.....	1/256	M.....	1/284
Bercher, L.....	1/273	Grangered de La Grange.	
Blachere, R. L.....	1/316		1/187
Bousquet, G. H....	1/311	Guenow, Rene.....	1/270
Bouvat, L.....	1/252	Guy, Arthur.....	1/234
Brechier, L.....	1/270	Guyard, St.....	1/200
Brunschvig, B.....	1/318	Houdas, /.....	1/218
Carre, J. M.....	1/284	Huart, Cl.....	1/230
Cahen Cl.....	1/323	Joubert, A.....	1/183
Canard, M.....	1/303	Jourdain,.....	1/176
Cantineau, J.....	1/282	Lammes, H.....	1/249
Casanova, P.....	1/225	Langles.....	1/175
Caussin de Perceval J. J. A.		Laoust, H.....	1/319
	1/178	Le Chatelier, A.....	1/228
Ceccdi-Adriew, M.	1/331	Le Cœur, Charles.	1/255n
Chabot, J. B. Abbe.	1/263	Leslau, W.....	1/321
Cherbonneau, J. A.	1/198	Lescot, R.....	1/328
Colin, G. S.....	1/307	Levi-Provencal, E.	1/275
Delafosse, M.....	1/228	Luciani, J.D.....	1/237
Delaporte.....	1/188	Marcais G.....	1/285
Demeeremann.....	1/310	Marcais, W.....	1/273
Dermenghem, E....	1/297	Marty, P.....	1/242
De Courteille, A. Pavet.		Masse, H.....	1/298
	1/201	Massignon, L.....	1/287
De Meynard, B....	1/214	Masson, P.....	1/222
De S. Sacy.....	1/179	Michaux-Bellaire, E.	1/233
Du Caurroy.....	1/178	Peres, H.....	1/305
Fagnan, M.E.....	1/236	Pesle, O.....	1/262
Ferrand, G.....	1/240	Postel, G.....	1/171
Fresnel, F.....	1/187	Quatremere, Et. Mare.	
Galtier, E.....	1/212		1/184
Galland, A.....	1/174	Reinaud, J.T.....	1/189
Gauthier, E.F.....	1/251	Renaud, H.P.J.	1/259
Gauthier, L.....	1/239	Renan, E.....	1/202
Gilson, E.....	1/296	Rodinson, M.....	1/328

Rondot, P.....	1/324	Schlumberger, G.	1/234
Salon, G.	1/210	Siderski, D.....	1/243
Salne, Barow		Sourdel-Rhomine, J.	1/330
Mac-Gickin de.....	1/197	Vadia, G.....	1/321
Saussey, Ed.....	1/248	Wiet, G.	1/299
Sauvaget, J.	1/266		

GERMANY

Ahlwardt, W.....	2/720	Kosegarten, J.G.L.	2/695
Ahrens, K.....	2/760	Kramer, J.	2/787
Babinger, Fr.....	2/795	Kraws, J.	2/787
Barth, J.....	2/723	Kraws, P.	2/763
Baumstark, A.	2/756	Kron, Fr.	2/729
Becker, C.H.....	2/745	Litmann, E.....	2/784
Brockelmann, C.	2/777	Mahler, Ed.....	2/765
Delitzsch, Fr.....	2/703	Menzel, Th.	2/757
Devonshire, R.L.	2/775	Mez, A.	2/724
Dilmann, Fr. Aug.	2/711	Miltwoch, Eug.	2/760
Ewald, H.	2/703	Muller, Aug.....	2/710
Fischer, Aug.	2/770	Muller, F.W.K.	2/742
Fleischer, H.L.	2/706	Muller, M.J.	2/702
Flugel, G.	2/701	Noldeke, Th.....	2/738
Fraenkel, S.....	2/719	Pines, S.	2/800
Freytag, G.G.	2/697	Probster, E.....	2/777
Fuck, J.	2/798	Pretzl, O.....	2/759
Gildermeister, J.	2/708	Rescher, O.....	2/791
Goitein, S.D.....	2/801	Reuchlin,	2/762
Goldziher.....	3/906	Ritter, Hi.....	2/796
Graf, P.G.		Roemer, H.R.	2/803
Grimme, H.....	2/760	Sachau, E.	2/740
Hanz, E.	2/809	Schaade, A.....	2/775
Hartmann, M.....	2/725	Schacht, J.	2/803
Hartmann, R.....	2/790	Schaefer, H.H.	2/783
Hinz, W.....	2/805	Schomolders, Aug.	2/704
Horten, M.....	2/768	Schwally, Fr.....	2/727
Horovitz, J.	2/743	Seybold, C.E.....	2/728
Jacob, G.....	2/752	Sobernheim, M.	2/754n
Kobert, R.A.	2/799	Spies, O.....	2/802

Spitta, W.	2/705	Weil, S.	2/707
Spitalen, A.	2/806	Wellhausen, J.	2/724
Spuler, B.	2/807	Wiedemann, E.	2/735
Strothmann, R.	2/788	Winkler, H.A.	2/758
Taeschner, Fr.	2/794	Wolff, Ch.	2/692
Warhumund, A.	2/722	Wustefeld, F.	2/713
Wehr, Hans.	2/%06		

ITALY

Amari, Michele ..	1/363	Gabrieli, Giuseppe.	1/380
Bausani, Alessandro.		Gemanus, P. D.	1/361
	1/397	Giuseppe, Furlani.	1/389
Begunot, Francesco.		Griffini, Eugenio. .	1/370
	1/385	Guidi, Ignazio.	1/375
Bonelli, Luig.	1/383	Guidi, Michelangelo	1/381
Bussi, Emilo.	1/399	Lanzoni.	1/367
Caetani, Leone. .	1/372	Maritti, P.	1/362
Carusi, E.	1/369	Marracci, P. L.	1/361
Cerulli, Enrico. .	1/393	Martino, Moreno.	1/392
d'Emila, Antonio.	1/400	Mieli, A.	1/398
de Gubernatis, Alfonso		Nallino, Carlo, Alfonso.	
	1/369		1/377
de Mattes, Ignazioi.		Panetta, Ester.	1/403
	1/384	Pizzi, Italo.	1/369
de Villard, Ugo Monneret.		Rossi, Ettore.	1/386
	1/386	Rossini, Couti Carlo.	1/384
Della Vida G. Levi.	1/390	Santillana, David.	1/374
Ducati, Bruno.	1/383	Vaglieri, L. Vecchia.	1/404
Gabtieli, Francesco.	1/394	Vitto Enrico.	1/366

SPAIN

Alonso, L. M.	2/604	Cruz Hernandez, M.	2/609
Angulo Iniguez.	2/591	Dario Cabanelas, P.	2/615
Asin Palacios.	2/595	Gaspar Remiro, M.	2/590
Bolufér, Y. Alemany J.		Garcia Gomez, E..	2/610
	2/592	Gonzalez Palencia, A.	
Cde de Gualarza. .	2/589		2/597

Lamonte J. L.	2/592	Sanchez Pervez J. Aug.	
Luio Gonzalbo....	2/586		2/600
Menndez Pidal R.	2/599	Seco de Lucena...	2/607
Millias V. allicrosa J.	2/605	Simonet, Fr. Y.	2/584
Pascual de Gayangos.		Soriany Viguera, J.	
	2/584		2/588
Pedro de Alcala...	2/580	Torres Balbas, L...	2/601
P. Melcher M. Antunia.			
	2/594		

UNITED KINGDOM

Amedroz, H. F.	2/495	Cromer, The Earl..	2/499
Anderson, J. N. D.	2/546	Cureton, W.....	2/479
Arberry A. J.	2/556	Donaldsow, D. M.	2/528
Arnold, Sir, Edwiw.	2/507	Doughty C. R. M	
Arnold, Sir, Thomas W.			2/500
	2/504	Dunlop, D. M.	2/545
Badger G. P.	2/483	Farmer, H. G.	2/539
Baker, Sir Samuel, W.		Fulton, A. S.	2/541
	2/488	Gardner, W. R. W.	2/499
Bedwell, W.....	2/464	Gibb, E. J. M.	2/492
Bell, Miss. Gertrude.	2/502	Gibb, Sir Hamilton A. R.	
Bell, R.	2/527		2/551
Bevan, A. A.	2/509	Greaves, Th.	2/466
Birge, J. K.	2/516	Gresswell, K. A. ...	2/569
Blunt, Anne.....	2/498	Guest, A. R.	2/524
Blunt, W. Sc.	2/498	Guillaume, A.	2/543
Bodley, R. V. E. ...	2/529	Hair Sir Thomas, W.	
Bowen, R.	2/546		2/506
Browne, E. G.	2/500	Hamilton, Ch.	2/476
Browne, L. E.	2/535	Hamilton, Lt. Cor. R. A. B.	
Budge, Sir Wallis, E. A.			2/533
	2/566	Hamilton, R. W....	2/571
Burckhardt, J. L...	2/475	Hillelsow, S.....	2/517
Burckhardt, T.	2/545	Hughes, T. P.	2/487
Burton, Sir Richard	2/488	Jones, Sir William.	2/473
Conder, C. R.	2/493	Kitchener, Lord, H. H.	
Creswell, K. A.	2/569		2/493

Landau, R.....	2/556	Redhouse, Sir James W.	2/488
Lane, Ed. W.....	2/480	Robson, J.....	2/547
Lane, Poole, S.	2/564	Ross, Sir Edward D.	2/520
Lawrence, T. E.....	2/511	Sale, G.....	2/471
Leo Strange, G.	2/510	Sell, C. D. E.	2/492
Lees, W. N.	2/484	Sergeant, R. B.	2/560
Lewise, B.....	2/561	Shmidt, W.	2/499
Lybyer, A. H.....	2/517	Smith, Margaret...	2/527
Lyall, C. J.....	2/497	Stark, F. M.....	2/550
Margoliouth, D.S.	2/518	Steingass, F. J....	2/492
Miller, W.....	2/505	Sterw, G. H.....	2/534
Miller, W. M.....	2/535	Sterw, S. M.....	2/562
Mingana, A.	2/515	Storey, C. A.	2/542
Minorsky, V.....	2/537	Thomas, B. S.	2/529
Muir, Sir William.	2/492	Thompson, O. H..	2/513
Nicholson, R. A. ...	2/525	Trimingham, J. S.	2/536
O'Leary, D. L.....	2/523	Trittow, A. S.	2/538
Palmer, E. H.....	2/482	Walker, J.	2/570
Philby, H. St. J. B.	2/548	Watt, W. M.	2/554
Phillott, D. C.....	2/503	Wilson, Sir Arnold Talbot.	2/521
Picktall, M. W.....	2/512	Wood, A. C.....	2/554
Pocoke, E.....	2/467	Wright, W.....	2/485
Prideaux, H.	2/470		

U. S. A.

Abbott, N.	3/1008	Grunebaum, G. E. Von.	3/1019
Adams, Ch.....	3/1004	Haskins, Ch. H....	3/998
Albright, W.....	3/1011	Heer, Nicholas hawsow.	3/1022
Bravmanm, M.	3/1013	Hitti, P. K.....	3/1010
Browne, N.....	3/1022	Ireland, Ph. W....	3/1018
Valverley, E. E....	3/1009	Irving, A.....	3/1013
Ettinghausew, G. E. Von.	3/1019	Jeffery, A.....	3/1013
Finkel, J.	3/1000	Jowett, J. R.....	3/994
Fischel, W. J.....	3/1017	Lincoln.....	3/1024
Friedlaender.....	3/995	Mann, J.....	3/997
Gotthel, R. J. H....	3/998		

Mac Donald, D. B.	3/1001	Speiser, E. A.	3/1017
Patton, W. M.	3/996	Sprengling, M.	3/1002
Popper, W.	3/1015	Thompson, W.	3/1005
Rentz, G. S.	3/1021	Waston, A.	3/1007
Rosenthal, E. I. J.	3/1022	Waston, C.	3/997
Rosenthal, F.	3/1016	Wilson, C. E.	3/1002
Sarton, G.	3/1006	Wise, St.	3/996
Schmidt, N.	3/998	Wittek, P.	3/1014
Seelye, K. C.	3/996	Wright, Ed.	3/1024
SSmith, Eli.	3/992	Zewemer, S.	3/1005

U. S. S. R.

Barthold, V. V.	3/943	Kowalewski.	3/936
Belenitsky, A. N.	3/969	Kratchkouaki, I.	3/949
Belekin, U.	3/974	Krymsky, A. E.	3/946
Beresine, N.	3/938	Lekiaskvilli, A. S.	3/970
Bertels, E. E.	3/958	Lontsky, V.	3/967
Borisov, V.	3/974	Myadnikov.	3/941
Charbaton, G.	3/971	Nekora, L. S.	3/974
Charmcy.	3/934	Rosen, V. R. Bon.	3/940
Dolinina, A.	3/960	Sabloukov.	3/936
Dorn, B.	3/937	Schuster, B.	3/973
Eberman, V. A.	3/945	Semenov, A. A.	3/959
Erdeman, F.	3/935	Semenov, D. V.	3/948
Fatolina, L. N.	3/965	Senkowski.	3/934
Frahn, Ch. M.	3/933	Stariniw, V. P.	3/975
Gafuror, B. G.	3/963	Stepanov, L.	3/973
Girgass, W. O.	3/938	Vilenchik, Y. S.	3/947
Gottwaldt, J. M. E.	3/939	Vinnikov, I. N.	3/963
Ivanow, W.	3/970	Zakhoder, B.	3/964
Jacobovsky, C. V.	3/957	Zhukousky.	3/941
Kashtaleva, K. S.	3/945	Jamal 100494	w01100
Khwolsow, D.	3/941		

أهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم

- أحمد ، ابراهيم خليل . « الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبرالية العالمية » مكتب الوعي العربي ، القاهرة ، (١٩٧٣)
- أسد ، محمد . « الاسلام على مفترق الطرق » ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (١٩٧٤)
- بارت ، رودى . « الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية » ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ، (١٩٦٧)
- البيهى ، محمد . « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، (١٩٧٥)
- جريشة ، على ومحمد شريف الزريق . « أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي » ، دار الاعتصام ، بيروت ، (١٩٧٧)
- الجندي ، انور . « شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي » ، المكتب الاسلامي ، بيروت - دمشق ، (١٩٧٨)
- حسين ، طه . « مستقبل الثقافة في مصر » ، المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد التاسع دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، (١٩٧٣)

حسين . محمد محمد . « حصوننا مهددة من داخلها » . المكتب
 الاسلامي . بيروت - دمشق ، (١٩٧٧)
 حسين . محمد محمد . « الاسلام والحضارة الغربية » ، المكتب
 الاسلامي ، بيروت - دمشق ، (١٩٧٩)
 حمدان . نذير . « الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات
 المستشرقين » ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ،
 (١٤٠١ هـ)
 الحوالى ، سفر عبد الرحمن . « العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في
 الحياة الاسلامية » . المعاصرة - دار مكة للطباعة والنشر
 والتوزيع ، مكة المكرمة (١٤٠٢ هـ)
 السباعي ، مصطفى . « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » ،
 المكتب الاسلامي ، بيروت - دمشق ، (١٩٧٨) الطبعة الثانية .
 السباعي ، مصطفى . « الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم »
 المكتب الاسلامي ، بيروت - دمشق ، (١٩٧٩) الطبعة الثانية .
 شرابي ، هشام . « المثقفون العرب والغرب : عصر النهضة ١٨٧٥
 - ١٩١٤ » . دار النهار للنشر ، بيروت ، (١٩٧٨)
 شلبي ، عبد الجليل . « الاسلام والمستشرقون » ، دار الشعب ،
 القاهرة ، (١٩٧٧)
 العروى ، عبد الله . « أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخية ،
 ترجمة » . ذوقان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
 بيروت ، (١٩٧٨)
 العقيقي . نجيب . « المستشرقون » ، دار المعارف . القاهرة ،

- (١٩٦٤) الطبعة الثالثة .
- العقيقي . نجيب . « من الأدب المقارن » . مكتبة الانجلو المصرية .
القاهرة . (١٩٧٦) الطبعة الثالثة .
- عليان . محمد عبد الفتاح . « أضواء على الاستشراق » . دار
البحوث العلمية . الكويت . (١٩٨٠)
- عويس . عبد الحليم ومصطفى عاشور . « تعدد الزوجات لا تعدد
العشيقات » . مكتبة الاعتصام . القاهرة . (١٩٧٨)
- الغزالي . محمد . « الاستعمار أحقاد وأطماع » . مؤسسة الخانجي .
القاهرة . (١٩٥٧)
- الغزالي . محمد . « التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام
دحض شبهات ورد مفتريات » . دار الكتب الحديثة . القاهرة .
(١٩٦٥)
- الغزالي . محمد . « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن
المستشرقين » ، دار الكتب الحديثة : القاهرة (١٩٦٥)
- فروخ . عمر ومصطفى الخالدي . « التبشير والاستعمار في البلاد
العربية » . شركة علاء الدين للطباعة والتجليد ، بيروت ،
(١٩٧٠) الطبعة الرابعة .
- قطب . سيد . « نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر » . الدار
السعودية للنشر والتوزيع ، جدة . (١٩٦٩)
- قطب . سيد . « المستقبل لهذا الدين » ، دار الشروق ، بيروت .
(١٩٧٨)
- مالكي . محمد علوي . « موقف المسلم من الدراسات

الاستشرافية » . مطبعة حسان . القاهرة (ب ت)
محمود . عبد الحليم . «أوروبا والاسلام» . مطابع الأهرام
التجارية ، القاهرة . (١٩٧٣)
المودودي ، أبو الاعلى . «الاسلام في مواجهة التحديات
المعاصرة» ، ترجمة خليل احمد الحامدي ، دار القلم ، الكويت ،
(١٩٧٤)
هلال ، محمد غنيمي . «الأدب المقارن» ، دار النهضة مصر ،
القاهرة ، (١٩٧٣) الطبعة الثالثة .

- Allison, A.W. et.al., **The Norton Anthology of Poetry**, N.Y& London (1975)
- Burgess, Antony, **English Literature**, London, (1980)
- Guddon, J.A. **A dictionary of Literary Terms**, London, (1977).
- Garland, Henry and Mary, **The Oxford Companion to German Literature**, Oxford (1976).
- Harvey, Paul, **The Oxford Companion to English Literature**, Oxford, (1975).
- Harvey, Paul et.al., **The Oxford Companion to French Literature**, Oxford (1967).
- Lane-Poole, Stanley, **Saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem**, Beirut, (1964).
- Said, Edward W., **Orientalism**. London (1980).
- Tibawi, A.L., **English Speaking Orientalists: A critique of their approach to Islam and Arab Nationalism**, Oxford, (1964).
- **A critical Analysis of Islamic Studies at Nother American Universities**. Compiled by the Committee on oriental studies at the Islamic Youth Congress in Tripoli, Libya, (1973).
- **Encyclopedia Britannica**, Edinburgh, (1973).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
الاستشراق : تعريفه وتاريخه	١٣
الاستشراق : اهدافه واغراضه	٣١
غاية خطيرة للاستشراق	٦٧
طبقات المستشرقين وانواعهم	٨٩
لا موضوعية عند المستشرقين	١١٩
حاضر الدراسات الاستشراقية	١٣٩
الاسلام في الآداب الغربية	١٥٩
خاتمة	١٩٧
ملحق بأسماء بعض أشهر المستشرقين	٢٠٠
المراجع والمصادر	٢٠٩

تصويكات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الدعاوى	الدعاوى	٦	١
ابن	بن	١٢	١٩
يقدم	يعد	١٩	١٠
لين	لين E.W. Lane	٢٢	١٩
ورينان	ورينان E. Renan	٢٢	١٩
واسحاق ساسي	واسحاق ساسي E. Sacy	٢٢	٢٠
الخلفيه	الخلفيه	٢٣	٩
لاتيني	لاتيني	٢٧	١
١٠٩٧هـ - ١٢٩٥م	١٠٩٧ - ١٢٩٥م	٢٧	١٤
الحروب بواسطة	بحرب السلاح	٣٤	٥
الصائبه	الصائبه	٤٠	٨
٤ - ٥ - ٦	٤ - ٥	٤٠	٢٠
A critical	A critica	٤١	١٨
أمريكا نقلت	أمريكا نقلت حضارتها من الكنفو	٥٠	٢٠
الارهاب	الارهاب	٥٣	٨
اهداف	أهداف	٥٩	١
مثل هـ. أ.	مثل هـ. أ.	٦٣	١٩
فليب	وهناك فليب	٧٢	١٩
A critical	A critica	٧٣	٢٢
محمد	محمد	١٠٢	١٨
مجلة العالم الاسلامي	مجلة العالم الاسلامي	١٠٣	١٠
Le Mande Musalman			
جامعة جونز هوبكنز	جامعة جونز هوبكنز	١١٤	١٥
John Hopkins			

٩	١٣٠	والماسونية	والماسونية
١٤	١٣٠	متخلف	متخلف
٧	١٣٤	شهودهم	شهورهم
٨	١٣٨	الندوى و	الندويو
١٦	١٤١	والمناح	المناح
١٩	١٤٣	وتحويلها	وتحويلها
٣	١٤٧	وهذا الكتاب اسمه	هو كتاب
١٥	١٥٤	في موقف	موقف
٧	١٦٢	جديدة	جديد
٧	١٧١	المسمى	المسمى
٥	١٧٧	قلبي	قلبي
٤	١٨٠	موليير	مولي
١١	١٨٩	الأدب	لأدب
			(١٢٥٨هـ)
١٤	١٩٤	Abdias (١٨٤٢م - ١٢٥٨هـ)	(١٨٤٢م)
١٥	١٩٤		Abalbert Stifter
١٩	١٩٤		J. W. Goethe
٢١	١٩٤		West Osthcher Divan
١١	١٩٩	السبل	لسبل

مُطَبَّعةُ رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

حياة المؤلف في سطور

- ولد في مكة المكرمة عام ١٣٧١هـ

- أكمل تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي بمكة المكرمة

- حرص والده الشيخ محمد عبد العزيز الوزان على تربيته تربية إسلامية فحثه على حضور حلقات العلم بالمسجد الحرام

- تحصل على البكالوريوس في اللغة الإنكليزية والتربية من جامعة أم القرى عام ١٣٩٤هـ

- درس الدبلوم العالي في اللغة الإنكليزية وحصل على الدكتوراة في الأدب المقارن (إنكليزي - عربي) من جامعة ادنبرا عام ١٤٠١هـ

- عمل عميداً لكلية اللغات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- يشغل الآن منصب عميد الدراسات الجامعية للطلّابات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

- مؤلفاته : مجموعة من المقالات نشرت بالصحف المحلية والدوريات العلمية بالجامعات .

من كتبه : مطالعات في الأدب المقارن - دراسة القصص باللغة الإنكليزية .

